

المدخل إلى
الثقافة الإسلامية
(مقرر جامعي)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة السادسة عشرة

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م



هاتف: ٠٠٩٦٦٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط)

فاكس: ٠٠٩٦٦٤٧٢٣٩٤

الموقع على الإنترنت:

(www.madaralwatan.com)

البريد الإلكتروني:

(pop@madaralwatan.com)

المدخل إلى الثقافة الإسلامية

(مقرر جامعي)

تأليف

أ.د. إبراهيم بن حماد الرئيس
أ.د. خالد بن عبد الله القاسم
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أ.د. علي بن عبد الله الصيَّاح
د. إدريس بن حامد محمد
رحمه الله تعالى

أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك سعود

طبعة مزيّدة ومنقّحة

مدار الوطن للنشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الكتاب الذي بين يديك (المدخل إلى الثقافة الإسلامية) يتضمن عرضاً لقضايا ثقافية مهمة تحتاج لمعرفة طلاب وطالبات الجامعات ابتداءً بمفهوم الثقافة الإسلامية، وموقفها من الثقافات الأخرى، ثم خصائص الإسلام العامة، التي يمتاز بها عما سواه من مناهج وأديان منتشرة في العالم، وعرض لأصول الإيمان الستة، وأثرها في حياة المسلمين أفراداً ومجتمعات، ثم ختم الكتاب بنواقض الإسلام.

وهذا الكتاب جهد جماعي من أساتذة قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بذلوا ما يستطيعون من وقت وخبرة في سبيل نشر العلم النافع.

ومع ذلك فهذا الكتاب عمل بشري يعتريه ما يعتري البشر من نقص؛ ولهذا فيسر المؤلفين أن يتلقوا أية ملحوظة تُبدى على الكتاب.

والله ولي التوفيق.

Email: slm\٠\ksu@gmail.com

* * *





أولاً: الثقافة الإسلامية

- ~ مفهوم الثقافة الإسلامية
- ~ أهمية الثقافة الإسلامية
- ~ مصادر الثقافة الإسلامية
- ~ التحديات التي نواجهها الثقافة الإسلامية وسبل مواجهتها
- ~ موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى
- ~ الحوار بين الحضارات



مفهوم الثقافة الإسلامية

أ- تعريف الثقافة في اللغة:

استعمل العربُ مادة «ثَقَفَ» بمعانٍ متعددةٍ يرجعُ بعضها إلى أمورٍ معنويةٍ كما يرجعُ بعضها إلى أمورٍ حسيةٍ، وإن كانت دلالتها على الأمور المعنوية أكثرَ من دلالتها على الحسيات^(١).

فمن الأمور المعنوية:

الحِذْقُ، الفطنةُ، الذكاءُ، التهذيبُ، الظَفَرُ، التأديبُ، المصادفةُ، سرعةُ أخذ العلم وفهمه، ضبطُ المعرفةِ المتلقاةِ، تنميةُ الفكر والمواهب^(٢).

ومن المعاني الحسية:

تقويمُ المعوج، التسويةُ، كتسوية الرماح والسيوف، إدراكُ الشيء والظفرُ به، الغلبةُ، الأخذُ في قوة، الإصلاح، الوجود. وقد وردت كلمة «ثقف» في القرآن بما يتضمن هذه المعاني كقوله تعالى: ﴿U W V X Y﴾.

ومن مجموع ما سبق نستنتجُ أن الدلالات اللغوية لمصطلح الثقافة واسعةٌ ومتنوعةٌ، تتناولُ الجانبَ المعرفيَّ والجانبَ السلوكيَّ.

أما عند الغرب فيدور معنى الثقافة في أصلها اللاتيني على فلاحَةِ الأرض وتنميةِ محصولاتها، ثم توسعت لتشملَ المعنى الماديَّ الحسي كما سبق، وتنميةَ العقلِ والذوقِ والأدبِ بالمعنى المعنوي^(٣).

(١) نظرات في الثقافة (ص: ١١).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة: ثقف (٣٨٢/١)، ولسان العرب مادة ثقف، والمعجم الوسيط، مادة: ثقف.

(٣) المورد (ص: ٢٣٨).

ب- تعريف الثقافة في الاصطلاح:

إن مصطلح الثقافة لم يُعرّف تعريفاً واضحاً قاطعاً للجدل فكان معناها الاصطلاحيّ أوسع من معناها اللُّغويّ الذي سبق بيانه فتعددت الآراء حول مفهومها الاصطلاحيّ، ونكتفي بتعريف المجمع اللُّغوي الذي عرّفها بقوله: «جملة العلوم والمعارف والفنون التي يُطلَبُ العلمُ بها والحِذْقُ فيها»^(١).

ج- العلاقة بين الثقافة وغيرها من المعارف:

هناك علاقةٌ وطيدة بين الثقافة والعلم، وبينها وبين الحضارة، لذا يحسُنُ بيانُ هذه العلاقات بين الثقافة وهذه المعارف المختلفة.

أولاً: العلاقة بين الثقافة والعلم:

العلمُ جملةٌ من المعارف المتنوعة التي يحصلُ عليها المتعلم، والثقافة كذلك^(٢). فتقوم العلاقة بينهما على التشابه والتكامل.

أما من ناحية الاختلاف فتتميز الثقافة بالتنوع والشمول، فمن أخذ شيئاً من كلِّ شيءٍ فقد أصبح مثقفاً، وأما العلمُ فيتميز بالتخصيص، فمن أخذ كلَّ شيءٍ تقريباً من شيءٍ واحدٍ فقد أصبح عالماً.

والثقافة طابعها شخصيٌّ تختلف من ثقافة أمةٍ لأخرى، فثقافة الوثنيّ والنصراني والهندوسي... إلخ. تختلف عن بعضها البعض، لأن كلَّ ثقافة تستمدُّ عناصرها من تصورها الديني في المقام الأول. أما العلم فطابعه موضوعيٌّ تتحدُّ فيه النتائج، فالماء مثلاً يتكون من ذرات من الأكسجين بالإضافة إلى ذرات من الهيدروجين (H_2O) وهذا في كل الثقافات.

(١) المعجم الوسيط مادة: ثقف (٩٨/١).

(٢) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية (ص: ٣١).

فيتين مما تقدم أن ميدان الثقافة أوسع من ميدان العلم، وإن كان العلم يخدم الثقافة ويرشدُها، فهي لا تستغني عن العلم.

ثانياً: العلاقة بين الثقافة والحضارة:

الحضارة تتناول جملةً من مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى آخر في جوانب الحياة المادية، أما الثقافة فهي جملة العلوم والمعارف التي يُطلب الحذق فيها، فالثقافة تهتم بالجوانب المعنوية والحضارة ألصق بالماديات، وهذا الفرق في الجانب النظري فقط.

أما في الجانب العملي فهما يرتبطان مع بعضهما ارتباطاً وثيقاً؛ لأن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها وفكرها وأسلوب حياتها^(١)، فالثقافة والحضارة متفقتان من هذه الناحية.

فالثقافة هي المظهر العقلي للحضارة، والحضارة هي المظهر المادي للثقافة.

د- تعريف الثقافة الإسلامية اصطلاحاً:

لكل أمة ثقافة خاصة بها، وأمة الإسلام تنفرد بثقافتها عن ثقافة سائر الأمم حيث تكتسب تميزها الخاص بين الثقافات في تحديداتها أولاً، وفي مقوماتها وعناصرها وخصائصها ثانياً^(٢).

إن تعريفات الثقافة الإسلامية متعددة ويرجع هذا التعدد إلى:

١ - جدية هذا المصطلح وحدائيته.

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية (ص: ٤٢).

(٢) الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً (ص: ١٣).

٢ - اختلاف تصورات العلماء المعاصرين حول هذا المصطلح^(١).

وأقرب تعريف لها أنها: «معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من دين، ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة»^(٢).

ولعل هذا التعريف باهتمامه على موضوعات الثقافة الإسلامية الرئيسة، يكون أقرب التعريفات إلى الصواب.

* * *

(١) من التعريفات الجامعة التي تربط بين العلم والعمل والسلوك: «معرفة مقومات الأمة والدين المستفادة من مصادر الكتاب والسنة واجتهادات العلماء علماً وتطبيقاً». كما عرفت بأنها «العلم بمنهج الإسلام الشمولي في العقيدة والشريعة والأخلاق والحضارة تأثراً وتطبيقاً».

(٢) دراسات في الثقافة الإسلامية (ص: ١١).

أهمية الثقافة الإسلامية

تتجلى أهمية الثقافة الإسلامية بالنظر إلى أهدافها وآثارها.

أ- أهداف دراسة الثقافة الإسلامية:

من أهم أهداف دراسة الثقافة الإسلامية ما يلي^(١):

- ١ - تقديم التصور الصحيح الكامل والشامل للحياة والإنسان والكون من خلال تحديد علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه والآخرين وبالكون أجمع.
- ٢ - إمداد الدارس بحصيلة مناسبة من المعارف المتعلقة بالإسلام عقيدةً وشرعيةً ومنهج حياة، وحضارة بوصفه ديناً عاماً صالحاً للبشرية في كل زمان ومكان، وهذا يعطيه حصانة ضد تيارات الإلحاد المختلفة.
- ٣ - تنمية روح الولاء للإسلام وتقديره على ما سواه من صور الانتماءات الأخرى؛ مثل القومية والعرقية أو العنصرية؛ لأنّ الولاية تكون لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين. أي الولاء لما جاء في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.
- ٤ - إبراز النظرة الشمولية للإسلام باعتباره كلاً مترابطاً متكاملاً، لا ينفصل فيه أصلٌ أو فرع عن آخر، والتخلص من النظرة الجزئية له التي تُقصره على بعض جوانب الحياة، مثل دعوى الالتزام بالفروض الخمسة، وأخذ الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع، أو تصور الكون بعيداً عن العقيدة والشرعية.
- ٥ - ترجمة الأخلاق والتعاليم الإسلامية إلى واقع عملي وسلوكي ملموس،

(١) انظر: الثقافة الإسلامية تخصصاً (ص: ٢٣)، والمدخل إلى الثقافة الإسلامية (ص: ١٠).

يعايشه المسلم في حياته العملية اليومية، باعتبار الإسلام نظاماً تطبيقياً في الحياة.

٦ - بيان خصائص الإسلام وسموه، وإظهار وسطيته وقدرته على تحقيق السعادة في الدارين.

ب- أثار الثقافة الإسلامية:

إن أثر الثقافة الإسلامية على كافة الثقافات الأخرى من الأمور المسلم بها؛ لأن المسلمين أحرزوا نجاحات باهرة في مناطق شاسعة من العالم، لكن المهم أن يتبين أبناء الأمة موقعهم في هذا العالم، وموقف الأعداء والأصدقاء منهم؛ لأن ذلك أثراً عظيماً في حياتهم ومستقبلهم، ومن أهم آثارها:

١ - أثرت الثقافة الإسلامية على الثقافة الأوروبية في مختلف الميادين، ومنها ميدان العقيدة والدين الذي ظهر في حركات الإصلاح الدينية التي قامت في أوروبا منذ القرن السابع حتى عصر النهضة الحديثة، فوجدَ عندهم من ينكر عبادة الصور، ومن ينكر كذلك الوساطة بين الله وبين عباده، ومن ينكر الاعتراف أمام القسيس؛ لأنه لا حقَّ له في ذلك بل يتضرع الإنسان إلى الله وحده في غفران ما ارتكب من إثم. وأكد كثير من الباحثين أن «لوثر» في حركته الإصلاحية كان متأثراً بما قرأه للفلاسفة العرب والعلماء المسلمين، من آراء في الدين والعقيدة والوحي^(١) وكان هذا التأثير عبر منافذ عدة: عن طريق بلاد الشام، وصقلية، والأندلس وغيرها.

٢ - انتشار الإسلام وثقافته في الشرق الأقصى مع حركة التجار التي كانت إحدى قنوات الاتصال المهمة حيث نقل التجار المسلمون الكثير من مظاهر الثقافة الإسلامية إلى مختلف الشعوب في قارة آسيا وأفريقيا.

(١) انظر: في الثقافة الإسلامية، أحمد نوفل وآخرون (ص: ١٥٥).

٣- كما انتشرت الثقافة عبر حركة الترجمة حيث تُرجمت أمهات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأخرى في مختلف ميادين العلم والفلسفة في القرون الوسطى وعصر النهضة، وبداية العصر الحديث، ولذا ظهر الأثر البارز للثقافة الإسلامية على غيرها. وقد شهد العديد من الباحثين والمفكرين الغربيين على ذلك الأثر القوي الذي أحدثته الثقافة الإسلامية^(١).

على الرغم من هذه الآثار إلا أنه يلحظ في دراسة كثير من المستشرقين التهميش والتجهيل والإنكار لمآثر العرب والمسلمين في العلوم والفلسفة، ويرجع سبب ذلك إلى تلك الصورة المشوهة عن المسلم وثقافته حتى أصبح الإسلام بموجبها عنصر جمود وتخلف في نظرهم، مع تجاهل إبداعاته.

* * *

(١) من هؤلاء على سبيل المثال (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب)، و(استانوود كب) في كتابه (المسلمون في تاريخ الحضارة)، و(زيغريد هونكه) في كتابها (فضل العرب على أوروبا) و(شمس العرب تسطع على الغرب).

مصادر الثقافة الإسلامية

تنقسم مصادر الثقافة الإسلامية إلى قسمين:

أولاً: مصادر شرعية أصلية، وهي الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

ثانياً: مصادر فرعية، وهي الإجماع والقياس وغيرهما^(١).

أولاً: المصادر الشرعية الأصلية:

المصدر الأول: القرآن الكريم:

هو كلام الله الذي أوحى به إلى نبيه محمد ﷺ بلفظه ومعناه والذي تعبدنا بتلاوته والعمل به.

وهو المصدر الأساس لهذه الثقافة، والمشمول على أصول العلوم المختلفة، أنزله الله هدى ورحمة للعالمين، تبياناً لكل شيء، جعله الله كتاب عقيدة وهداية، وتربية وتعليم، وثقافة، حوى آداباً وقيماً وسلوكاً تنظم حياة الأمم والأفراد في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

فيه خبرٌ من قبلنا، ونبأٌ من بعدنا، وفصلٌ ما بيننا، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم.

من مزايا القرآن:

١ - أن الله حفظه من التحريف في القرون السابقة، وسيبقى كذلك إلى قيام

(١) هناك فرق بين مصادر الثقافة الإسلامية، ومصادر التشريع الإسلامي، فالأولى أوسع من مصادر التشريع لأنها تشمل العلوم الإنسانية، كما تشمل الآداب والتراث الإسلامي.

الساعة كما قال تعالى: ﴿m l k j i h g﴾ [الحجر: ٩].

أما الكتبُ السابقةُ فقد أضيف حفظُها إلى أصحابها فحرّفوها^(١)، قال تعالى:

﴿h g f e d c b a _﴾

[المائدة: ٤٤].

٢- أن القرآن جاء مؤيداً ومصدقاً لكل الكتب السابقة ومهيماً عليها، قال

تعالى: ﴿Y X W V U T S R Q P O﴾

﴿Z﴾ [المائدة: ٤٨].

٣- احتوى القرآن على شريعة عامة للبشر فيها كل ما يسعدهم في الدارين.

قال تعالى: ﴿G F E D C B A @ ?﴾

﴿H﴾ [النحل: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿Y X W U T S R Q P﴾

﴿Z﴾ [الأنعام: ٣٨].

٤- جمع القرآن كل ما كان متفرقاً من العقائد وأصول العبادات ومكارم

الأخلاق في الكتب السابقة.

(١) أشار كتاب الله إلى هذا التحريف في قوله تعالى: ﴿9 8 7﴾ : < ; = > ? @

﴿O N M L K J I H G F E D C B A﴾ [البقرة: ٧٩].

المصدر الثاني: السنة النبوية:

في اللغة: الطريقةُ والسيرةُ والأسلوبُ والنهجُ^(١).

وفي الاصطلاح: هي كُلُّ ما صَدَرَ عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خَلْقِيَّةٍ أو خُلُقِيَّةٍ أو سيرةٍ^(٢).

والسنة أنواع منها:

السنة القولية: مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٣).

السنة العملية: مثل أفعالِ وضوئه ﷺ وصلاته وحبّه.

السنة التقريرية: وهي ما أقرّه عليه الصلاة والسلام مما صَدَرَ عن أصحابه من قولٍ أو فعلٍ بسكوته، أو إظهارِ الرضا عنه واستحسانه.

ومن السنة: ما يتعلق بشمائله، من صفاته وأخلاقه ﷺ.

فالسنة هي المصدرُ الثاني بعد كتاب الله تعالى، والاعتمادُ عليها أمرٌ ضروري في بناء الثقافة الإسلامية؛ لأن القرآن جاء بالعموميات والكليات^(٤) تاركاً التفاصيل إلى السنة، فلا يُعرفُ قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَشَرُّوا﴾ [البقرة: ١٧٢] إلا بقول الرسول ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(٥)، وغير هذا من الأحاديث الموضحة لكيفية أداء الصلاة بجميع أركانها، وشروطها من فرض وسنة.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٠٩)، والمعجم الوسيط مادة: سنّ (١/٤٥٦).

(٣) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح (ص: ١٢).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم (١) ومسلم، كتاب الإمارة، باب إنما الأعمال بالنية، رقم (١٩٠٧).

(٢) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية (ص: ٤٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، رقم (٦٣١).

ولا قوله تعالى: ﴿ } ~ حُجُّ أَلْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]. إلا بقوله ﷺ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^(١)، وغير هذا من الأحاديث الموضحة لكيفية أداء مناسك الحج الفرضية والسنية.

مكانة السنة مع القرآن تأتي على ثلاثة أحوال:

١ - أن تكون موافقة له، فيأتي الحكم في القرآن والسنة معاً، مثل الأمر بالصلاة والنهي عن الزنا.

٢ - أن تكون السنة بياناً للقرآن وتفسيراً له، مثل تفسير الزيادة في قوله تعالى: ﴿ " # \$ % ﴾ [يونس: ٢٦]، فسرها ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى^(٢)؛ وتفسيره ﷺ للظلم في قوله تعالى: ﴿ ! " # \$ % & ﴾ [الأنعام: ٨٢] فسرها بالشرك^(٣).

٣ - أن تحيي السنة بزيادة حكم لم يرد في القرآن؛ مثل: إيجاب استئذان المرأة عند إرادة تزويجها، تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.

فالقرآن الكريم والسنة بينهما من التلازم، ما شهدت به كثير من الآيات والأحاديث، قال تعالى: ﴿ w v u t s r q p ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ ! " # \$ % & ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ 6 5 4 3 2 1 0 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 < ﴾ [النحل: ٤٤].

وقوله ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي الجمرة يوم النحر راكباً، رقم (١٢٩٧).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم (١٨١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم (٣٢).

وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي...»^(١) الحديث.

إنَّ ترجمة هذه المصادر إلى الواقع العمليّ يتطلّب تعلّم كتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ عن قرب بقراءتهما وفهماهما، وتدبر معانيهما.

ثانياً: المصادر الفرعية:

- ١ - الإجماع^(٢).
- ٢ - القياس^(٣).
- ٣ - التاريخ الإسلامي.
- ٤ - اللغة العربية.
- ٥ - التراث الإسلامي.
- ٦ - الخبرات الإنسانية النافعة.

* * *

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

(١) الإجماع: هو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول ﷺ على حكم من الأحكام الشرعية العملية، وهو حجة يجب العمل به. لأن اتفاق جميع المجتهدين على رأي واحد مع اختلاف عقولهم ومعارفهم يدلّ على أن هذا الرأي هو عين الحق والصواب (انظر: روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، (ص: ١٢٧).

(٢) القياس: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما. انظر: روضة الناظر، (ص: ٢٨٢).

التحديات التي نواجهها الثقافة الإسلامية

واجهت الثقافة الإسلامية تحدياتٍ عديدةً متنوعةً ومن أهمها:

أولاً: الغزو العسكري:

عانت الأمة الإسلامية من هجماتٍ عسكريةٍ ظالمةٍ استهدفت وجودها وثقافتها منذ القدم، ومن ذلك:

تآلبُ الأحزابِ من العربِ المشركين على المدينة مع اليهود من الداخل في السنة الخامسة من الهجرة في غزوة الأحزاب المشهور في السيرة التي ذكرها الله سبحانه في سورة الأحزاب: ﴿U WV X Y Z [\] ^ _ a b c d﴾ [الأحزاب: ١٠].

حشودُ الروم على حدود الجزيرة العربية في آواخر حياة النبي ﷺ ومعركةُ مؤتةِ وتبوك وكذلك حشودُ الرومان والفرس في عهد الصديق والفاروق انتهت بمعركة اليرموك والقادسية.

الحروبُ الصليبية الشرسة (٤٩٠هـ-٦٩١هـ) التي استهدفت الشام ومصر، وأدت إلى انشغالِ الأمةِ بها قرنين من الزمان.

ثم الهجومُ التتري على العراق والشام وإسقاطُ الخلافة العباسية وتدميرُ الكتبِ وقتلُ العلماء في القرن السابع الهجري.

ثم الاستعمارُ الأوروبي للبلدان الإسلامية في القرنين الماضيين (١٧٩٨م - ١٩٦٢م)، ومحاولتهُ مسحِ الثقافةِ الإسلامية واستنزافِ خيراتِ الأمة.

وزامن ذلك الغزو الشيوعي على البلدان الإسلامية في آسيا الوسطى ونشر الإلحاد ثم غزو أفغانستان والشيخان واستباحة دماء المسلمين واستعمار بلدانهم ونهب خيراتهم.

وما نشاهده الآن من هجمة صهيونية شرسة زرعها الغرب^(١) في قلب العالم الإسلامي لشردمة من اليهود اجتمعت من أنحاء العالم باختلاف لغاتهم وعرقياتهم في هجرات متتابعة بمساعدة غربية مباشرة مع اعتداءاتهم المتكررة على الفلسطينيين بل تجاوز العدوان على البلدان العربية.

وكان هذا الجسم الصهيوني بالمساعدة الغربية عاملاً مهماً في تأخر الأمة وإشغالها.

وما جرى من احتلال لأكثر من بلد إسلامي بحجج وهمية، وزامن ذلك الضغط على المؤسسات الثقافية بضرورة التغيير الثقافي والمقصود منه تجفيف منابع الثقافة الإسلامية، إضافة إلى تشويه الجمعيات الإسلامية الخيرية ورميها أيضاً بتهمة دعم الإرهاب (مع أنها أوضحت وسائل ترابط المجتمع الأهلي الذي ينادون به في معظم الدول)، فتلك الجمعيات تدعو إلى الإسلام وتكفل الأيتام وتقيم المستشفيات وتحفر الآبار وتعين الفقراء وتقيم المدارس وتصب في خدمة الإسلام والمسلمين وخدمة الثقافة الإسلامية^(٢).

وهذه التحديات لن تقضي على دين الله تعالى فقد أخبر المولى سبحانه ببقاء دينه وظهوره ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ﴾ :
﴿ التوبة: ٣٣ ﴾.

(١) الغرب ليس شيئاً واحداً بل يجب التفريق بين الجهات الصهيونية والصليبية المعادية، وبين المنصفين منهم، وبين الأغلبية التي تأثرت بوسائل الإعلام المعادية، ومن الممكن التأثير عليها وبيان الحق لها.
(٢) قال رئيس الوزراء الماليزي أمام اجتماع مجلس الكنائس العالمي (٢٦/٦/١٤٢٥ هـ الموافق ٢٠٠٤/٨/٣ م) في كوالالمبور: إن العالم الإسلامي يخشى حرباً دينية تحت ستار مكافحة الإرهاب.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١).

وإن من حُكَمِ المولى سبحانه أن تقع هذه التحديات عقوبةً للمعرضين ليعودوا ﴿! " # \$ % & ' ()﴾ [السجدة: ٢١].

كما أنها بلاءٌ للمؤمنين لرفعِ الدرجاتِ وتكفيرِ السيئات ﴿s r q { z y x w v u t﴾ [العنكبوت: ١-٢]، وفيها تنقيةٌ للصف المسلم قال تعالى: ﴿t s r q p o﴾ [العنكبوت: ١١].

* * *

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي..» رقم (١٩٢٠).

ثانياً: الغزو الفكري:

مجموعة من الجهود الفكرية التي تقوم بها أمة للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة.

وهو أخطر من الغزو العسكري^(١) فهو يدخل غالب البيوت خلاف العسكري. كما أن كثيراً من الناس لا يشعرون به.

وسائل الغزو الفكري:

١ - الإعلام: استغل الغربيون والمتغربون وسائل الإعلام المختلفة لحرب الإسلام، حيث أصبح المدافع عن أرضه وبلده إرهابياً والمحتل مدافعاً عن نفسه، ونظرة سريعة إلى بعض وسائل الإعلام ترينا مدى البلاء الذي تصبه ليل نهار لتشويه صورة الإسلام والمسلمين والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرتنا وسلفنا وعلمائنا، سيل من الشبهات التي تشكك في الدين وأحكامه، وسيل آخر من الأفلام والتمثيلات والمسرحيات التي تتهم بالإسلام، وتقوم بعرض نماذج من أنماط الحياة تضاداً للإسلام في كل شيء، تمجد الجريمة، وتدعو إلى الفسق والفجور، وتكره في الحياة المستقيمة الفاضلة، وتتهم بالمسلمين والمسلمات، وتتخذ الدين هزواً، وتعرض ما حرم الله: الرقص الفاضح، وشرب الخمر، والكذب والدجل، وقد قامت للتافهين أسواق ضخمة في كل مكان باسم الفن^(٢).

وقد ازداد خطر هذه الوسيلة مع انتشار الفضائيات، وتنامي الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) حيث نجد المواقع التي تثير الشبهات، وتشكك في العقائد، وتنشر

(١) انظر: موقع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في تعريف الغزو الفكري بالشبكة العنكبوتية وانظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا بعنوان الغزو الفكري بالشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص: ٦٢-٦٤).

المذاهب الباطلة.

٢- الاستشراق: وهو دراسة الغربيين للشرق وعلومه وأديانه - خاصة الإسلام - لأهداف مختلفة^(١)، ومن أهمها تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين.

ومن أهم نتائج المستشرقين في القرن العشرين دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت بثلاث لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وصدرت في عدة طبعات وترجمت إلى عدة لغات، وقد اشترك في تأليفها أكثر من (٤٠٠) مستشرق، وبلغت أكثر من (٣٠٠٠) مادة في أكثر من (١٠.٠٠٠) صفحة احتوت على معلومات مهمة عن الشرق والإسلام بالذات، كما أنها اشتملت على شبه ومطاعن متفرقة حول القرآن والعقيدة والشرعة الإسلامية وأعلام المسلمين بلغت أكثر من (٣٠٠) مطعن وانتقاص للعقيدة الإسلامية^(٢).

وقد ملئت كتابات المستشرقين بالتعصب الصليبي باعتراف كثير من المستشرقين، يقول برنارد لويس: «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات العديد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوفة في الأبحاث العلمية»^(٣).

إن كثيرًا من المستشرقين كانوا أداة للاستعمار، حيث تخلوا عن أمانتهم العلمية لتأييد المحتل، يقول مراد هوفمان، سفير ألمانيا في المغرب -وقد هداه الله للإسلام-: «والحق أن معظم المستشرقين عن وعيٍّ أو غير وعي كانوا أداة لخدمة

(١) المستشرقون لهم أهداف متنوعة منها أهداف مادية، وأهداف علمية، وأهداف استعمارية، وأهداف دينية وصليبية، وربما أسلم بعضهم، ولكن الحكم بالغالب وبالمؤسسات الاستشراقية الكبرى التي تهدف إلى صراع حضاري لهدم الإسلام وتشويهه.

(٢) مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية (١/٨٤-١٠١).

(٣) العرب والتاريخ، برنارد لويس، (ص: ٦٣).

الاستعمار، وإن كان بعض أولئك كانوا جواسيس للغرب بالفعل»^(١)، وتتعاون المخابرات الغربية - لاسيما الأمريكية - مع مراكز الدراسات الاستشرافية، لاسيما فيما يتعلق بالحركات الإسلامية. وبلغ أعضاء رابطة دراسات الشرق الأوسط^(٢) الاستشرافية في أمريكا إلى قرابة (١٦٠٠) عضو سنة ١٩٨٦م، ووصلت أعداد العناوين للموضوعات المنشورة عن الشرق الأوسط في الدوريات المتخصصة سنة ١٩٨٧م إلى نحو (٧١) ألف مادة. كما أن كثيراً من المستشرقين ينظرون إلى الشرق والإسلام نظرة استعلائية، وقد ساق إدوارد سعيد^(٣) الشواهد العديدة لذلك في كتابه الشهير «الاستشراق».

٣- التنصير: وعلى الرغم من أن الأمم النصرانية تبتعد عن النصرانية، وعلى الرغم من بيعهم للكنائس في ديارهم، إلا أنهم حريصون على تنصير المسلمين، وبناء الكنائس في ديارنا، وقد رصدوا لذلك مئات الملايين من الدولارات، وأرسلوا البعثات التنصيرية مجهزة بكل ما يمكن أن يحقق الهدف الذي قامت من أجله، وعلى الرغم من الصعاب التي تقف في طريقهم، إلا أنهم ماضون في هذا الطريق، وهم يصطادون المسلمين الجهلة، وينشبون أنبياءهم في فقراء المسلمين، حيث يقدمون لهم بعض ما يحتاجون إليه مقابل تركهم لدينهم وعقيدتهم^(٤)، بينما نجد العكس فيمن يُسلم من الغربيين، حيث يسلم المتعلمون والمفكرون.

وأهم وسائل التنصير: التعليم والصحة والإعلام واستغلال الكوارث

(١) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (ص: ٢١٢).

(٢) مصطلح «الشرق الأوسط» مصطلح غربي لطمس الهوية العربية والإسلامية ولإدخال إسرائيل فيه.

(٣) مفكر فلسطيني الأصل، أمريكي الجنسية، نصراني الديانة، فضح في كتاباته الاستعلاء الغربي، توفي سنة ١٤٢٤هـ.

(٤) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص: ٦٣-٦٤).

والحروب والفقر.

٤ - تشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية: وذلك بإقصاء الإسلام من شتى شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية.

٥ - محاربة الدعوة الإسلامية: حيث استغلَّ الأعداء بعض الهجمات الإرهابية لمحاربة الدعوة الإسلامية لا سيما الجمعيات الخيرية الإسلامية والزجَّ بها في تلك الأحداث واتهامها بدعم الإرهاب مع عدم ثبوت ما يدينهم.

٦ - التغريب والعولمة الثقافية: وهي باختصارٍ فرض الثقافة الغربية عن طريق المنظمات والمؤتمرات الدولية ووسائل الإعلام المختلفة.

وإن كان للعولمة -بشكل عام- وجوهاً مفيدة في التقنية والاتصال، والتعارف والمعلومات؛ فإن لها جوانب خطيرة في الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

ويهمنا هنا ما يؤثر على الثقافة الإسلامية بدرجة كبيرة وهو الهيمنة الثقافية وفرض القيم الغربية وتغريب المجتمعات المسلمة عن طريق استغلال التفوق التقني والسياسي والاقتصادي والعسكري لاختراق الثقافات الأخرى ومصادرة ثقافات الشعوب وفرض الأنماط الغربية.

ونجد أن الغرب لا يسعى لنشر قيمه الاجتماعية فحسب على الرغم من عدم الاقتناع الواسع بها قيماً، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب، حيث توالى مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام ١٩٨٥م، مؤتمر القاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين عام ١٩٩٥م، ومؤتمر اسطنبول عام ١٩٩٦م، ثم مؤتمر نيويورك عام ١٩٩٩م، ثم مؤتمر بكين، ثم نيويورك أيضاً عام ٢٠٠٠م، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول

الأسرة والمرأة والطفل، مركزاً على الحقوق الجنسية، والحق في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث.. إلخ، وكلُّ هذا من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية^(١) التي تُبيح الزنى واللواط وتمنع تعدد الزوجات.

وفي الفصل السابع من وثيقة مؤتمر السكان جاء الحديث عن هذه الإباحية الجنسية، فيقول: إنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، المنطوية على أن يكون الأفراد (لاحظ تعبير الأفراد) من جميع الأعمار أزواجاً وأفراداً (كذا) فتیاناً وفتيات، مراهقين ومراهقات، قادرين على التمتع بحياة جنسية مُرضية ومأمونة (لاحظ عدم اشتراط الحلال والشرعية) هي كالغذاء، حق للجميع، ينبغي أن تسعى جميع البلدان لتوفيره في أسرع وقت ممكن، في موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٥م. أي أنه أكثر من مباح، فالسعي لتحقيقه بجميع البلدان في أسرع وقت ممكن، وقبل سنة ٢٠١٥م، واجب على جميع البلدان، بل ولا تكتفي هذه الوثيقة بذلك، وإنما تتجاوز هذه الإباحية حيث تدعو للتدريب والترويج والتعزيز لهذا السلوك الجنسي المأمون والمسؤول^(٢).

وها هو المستشرق الألماني «هاملتون جب» يجعل هدف كتابه «وجهة الإسلام» قضية التغريب، ويتساءل إلى أي حد وصلت حركة تغريب الشرق؟ وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا الهدف؟^(٣).

(١) العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، (ص: ٢٧).

(٢) انظر وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة ٥-١٥/٩/١٩٩٤م، الترجمة العربية الرسمية، الفصل الثامن الفقرات ٣١-٣٥. نقلاً عن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، (ص: ٢٧).

(٣) شبهات التغريب، أنور الجندى، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ، (ص: ١٢).

آثار التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية:

١ - تشويه الإسلام وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة النبوية وعقيدة الإسلام وشريعته، وما يحدث الآن من محاولة لربط الإسلام بالإرهاب هو جزء من هذه الحملة.

٢ - تفريق المسلمين وإزالة الوحدة الإسلامية والدعوة إلى القوميات المتنوعة، وقد كانت الرابطة التي تجمع الشعوب الإسلامية هي الرابطة الإسلامية، فشجع الغرب الصليبي الشعوب المختلفة على المناذرة بالقوميات التي تنسب إليها الأمم المختلفة، فنادى العرب بالقومية العربية، والأترار بالتركية الطورانية، ونادى الأكراد بالكردية، وبذلك تفسخت عرى الرابطة الواحدة التي كانت تجمع هذه الأمة وتوحدتها، وقد كان ظهور هذه الدعوات سبباً في إضعاف الخلافة التركية العثمانية وتحطمتها.

وقد أغرق دعاة الضلال في دعوتهم عندما أحيوا الحضارات القديمة لإيجاد مزيد من الانقسام والفرقة، فرأينا الدعوة إلى الفرعونية، والدعوة إلى البابلية، والآشورية.. وغيرها^(١).

إن الإسلام يشجع الوطنية الحققة والقومية الهادفة القائمة على التعاون على البر والتقوى كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [التوبة: ٢]، ويحارب العصبية والنعرات الجاهلية المنافية للوحدة الإسلامية وقد قال ﷺ: «مَنْ قُتِلَ تحت راية عِمِّيَّة، يدعو عصبيةً، أو ينصر عصبيةً، فقتله جاهلية»^(٢) إن أي وطنية وقومية يجب ألا تتعارض مع الوحدة الإسلامية أو تكون بديلاً عنها، بل يجب أن

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص: ٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم (١٨٥٠).

بمختلف الأساليب، وزعموا أنَّ تحضرها وتقدمها لا يكون إلا إذا سارت مسيرة المرأة في أوروبا^(١)؛ وأفغانستان مثال حي على هذا؛ فعندما احتلها لم ينقلوا إليها التقدم الصناعي والتقني، وإنما بدأوا بإسقاط حجاب المرأة وإنشاء دور السينما^(٢).

هدف عدونا:

إن هدف عدونا ذوبان شخصيتنا، وذلك بالقضاء على مقومات كيانه وعلامات القوة فيها، واحتوائها بأخلاق الضعف والانحلال والإباحية حتى لا تقوى على مواجهة التحديات، وذلك أخطر أهداف العدو، حيث إخراج أجيال ضعيفة لا تؤمن بحقيقتها، ولا تؤمن بربها، ولا تستطيع أن تصمد أمام الخطر وأمام التحدي^(٣).

وقد أخبر المولى سبحانه بخطورة طاعة الكافرين والانسياق معهم فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ءَإِلَآءَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وأخيرًا.. إنهم لن يرضوا منا بالتنازلات المحدودة وبعض الطاعة ﴿! " # \$ % & ' ()﴾ [البقرة: ١٢٠].

* * *

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص: ٦٢-٦٣).

(٢) انظر في ت* * بالتحديات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية، د. وهبة الزحيلي دار أفكار ٢٠١٠م.

(٣) انظر: شبهات التغريب، (ص: ٦٣).

سبل مواجهة التحديات الثقافية:

سبل مواجهة التحديات الثقافية تأخذ أبعاداً متنوعة منها:

١ - تعزيز الهوية بأقوى سلاح، وهو العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله سبحانه، والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية ﴿g f e d﴾ [المنافقون: ٨]، وبشريعته السمحة وأخلاقه وقيمته الروحية، وتقوية الصلة بالله سبحانه وتعالى واليقين بنصره وتمكينه للمؤمنين إذا استجابوا لرهبهم وقاموا بأسباب النصر، فالهزيمة الحقيقية هي الهزيمة النفسية من الداخل حيث يتشرب المنهزم كل ما يأتيه من المنتصر، أما إذا عززت الهوية ولم تستسلم من الداخل فإنها تستعصي ولا تقبل الذوبان.

٢ - العناية بثقافتنا الإسلامية وباللغة العربية في وسائل الإعلام ومناهج التعليم، وتسهيل تدريسها وتحبيبها للطلاب، ومن العناية باللغة العربية تفعيل التعريب والترجمة والتقليص من التعلق باللغات الأخرى إلا في حدود الحاجة اللازمة.

٣ - إبراز خصائص الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته وثقافته وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلهموا أمجادهم ويعتزوا بهويتهم.

٤ - العمل على نهوض الأمة في شتى الميادين دينياً وثقافياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً وتقنياً، ومحاربة أسباب التخلف والفساد، وعلينا أن نغير ما بأنفسنا من تخلف وتقاعس، فإن من سنن الله سبحانه وتعالى سنة التغيير ﴿~ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٥ - مواجهة التحديات بالتعليم والتدريب والتثقيف والتحصين ورفع الكفاءة وزيادة الإنتاج ومحاربة الجهل وخفض معدلات الأمية المرتفعة عند المسلمين.

٦ - تقليص الخلافات بين المسلمين حكومات وشعوباً وجماعات بالاعتصام بكتاب الله ﷻ ﴿ F E D C B A ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ثم التعامل معها إن وجدت بثقافة إيجابية فاعلة ناصحة حتى لا يجد الأعداء ثغرة من خلالها.

٧ - ضمان الحرية الثقافية وتدعيمها، حيث إن حرية الثقافة، وإن كانت تنبع من العدالة في توزيع الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد، فإنها في الوقت نفسه عامل أساسي في إغناء الحياة الثقافية وزيادة عطائها. ولكن لا يجوز فهم الحرية على أنها فتح للباب أمام كل تعبير، وقبول كل فكر، ولكن الحرية المقصودة هي الحرية المنضبطة بضوابط الشرع^(١).

٨ - أن تقوم وسائل الإعلام بواجباتها في الحفاظ على الهوية ودعمها، بدلاً من استيراد البرامج التي تهدم الهوية دون نظر أو تمحيص؛ كما أن على الدول والعلماء وقادة الرأي ورجال الأعمال الضغط على وسائل الإعلام الخاصة كل بما يستطيع لمراعاة هوية الأمة وقيمها.

٩ - أن يقوم التعليم بتعزيز الهوية وكشف سلبات العولمة والتغريب، ويتحتم على الإعلام التربوي استخدام كافة الوسائل والأساليب والطرق المتاحة كي ينجح في تأصيل القيم والمهارات والمعارف والمعلومات في مؤسسات المجتمع ومنظّماته، وتحصين الأطفال ضد ثقافة الاستهلاك والتغريب، وتقديم مادة غنية ثرية تُحدث أثراً إيجابياً، وتترك صدى قوياً في نفسية التلاميذ صغاراً وشباباً وتساعد على اكتشاف ما يملكون من طاقات ومهارات^(٢).

(١) انظر: العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، (ص: ٢٦٣).

(٢) مسئولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية، (ص: ٣٠).

١٠ - تنشيطُ التفاعل والحوار الثقافي الإسلامي مع ثقافات الأمم الأخرى^(١)، وأن نتعرفَ على الآخرين وثقافتهم، والكشفِ عن مواطنِ القوة والضعفِ في الثقافاتِ المختلفة لا سيما الغربية، ودراسةِ سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية متفتحة، للاستفادة من إيجابياتها^(٢)، وأن نُثري ثقافتنا العربية الإسلامية بما نراه ينفعنا ولا يضرنا من الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نُعرِّف تلك الثقافات العالمية بما لنا من عقيدةٍ وقيمٍ وتراثٍ وتقاليدهِ الاجتماعية عريقة^(٣)، وأن يواكبَ ذلك عمليةٌ أخرى هي عمليةُ التخلصِ من الإحساسِ بمركزية الغرب ونزعِ صفةِ العالمية والعلمية والمطلقية عن حضارته^(٤).

١١ - تشجيعُ المؤسسات الخيرية والدعوية داخلَ البلاد الإسلامية وخارجها على ممارسةِ عملها ودعمِها بكل طريقٍ ماديٍّ ومعنويٍّ، وعدمُ السقوطِ في فخ الأعداء بتصيدِ أخطائها وتشويه سمعتها عند حدوثِ خطأٍ ما، وإنما بالنصيحةِ الإيجابيةِ الفاعلة، وما نراه بفضلِ الله تعالى من مؤسساتٍ إسلاميةٍ ودعويةٍ مساعدةٍ للمسلمين للحفاظ على هويتهم لا سيما خارجَ الدول الإسلامية، سواء كانت مراكز أو مدارس إسلامية أو وسائل إعلامية، كمواقع الإنترنت وشركات الإنتاج الإعلامي الإسلامي أو إذاعات القرآن الكريم، أو مكاتبَ دعوةِ الجاليات التي تميزت بها المملكة العربية السعودية والتي تثمرُ دخولَ آلاف المسلمين الجدد كلَّ عام، أو مدارسَ وجمعياتٍ تحفيظ القرآن الكريم، إلى غير ذلك من المؤسسات التي تُسهمُ ضدَّ التحديات الثقافية، لذا لا نعجب من أن تكونَ هذه المؤسسات

(١) العولمة والهوية المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، (ص: ١٢٦).

(٢) صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، (ص: ٢٥١).

(٣) انظر: صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، (ص: ٢٥١).

(٤) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، القاهرة - مصر، فبراير ٢٠٠١م، (ص: ٢٥٣-٢٥٤).

الخيرية أحد استهدافات الأعداء، ومحاولة رميها بالإرهاب بكل طريق ومحاربة أنشطتها وتشويه سمعتها وتجفيف مواردها^(١).

* * *

(١) انظر: كتاب القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب على المؤسسات الإسلامية، د. محمد بن عبدالله السلومي، كتاب البيان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (ص: ٢٠٩).

موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى

تتقاسم العالم ثقافاتٌ مختلفةٌ، تمتدُّ كلُّ منها في مناطقٍ كبيرةٍ من العالم، وقد سيطرت الثقافة الغربية في هذا العصر على بقية الثقافات، نظرًا لأنها مدعومةٌ عسكريًا وإعلاميًا واقتصاديًا وسياسيًا، لذا سيكون التركيز في بيان الموقف منها بسبب ذلك، وهناك عدة اتجاهات في الموقف منها، وهي:

١ - الاتجاه السلبي: يرى أتباعه عدم الأخذ أو الاتصال بأيٍّ من الثقافة والحضارة الغربية، وعدم الاستفادة من كل ما انبثق عنها من منافع في مختلف المجالات، يرفضون الثقافة الغربية، لأنهم ينظرون لسلبياتها وما تحمله من أمراضٍ لذا جاء الرفض لها ككل، وهذا الموقف لا يتناسب مع الأصول الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلى الاستفادة من كل شيءٍ لا يصادم أصول الإسلام؛ لأنَّ الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقُّ بها.

٢ - الاتجاه التغريبي: يدعو أصحابه إلى الأخذ بكل أسباب الثقافة والحضارة الغربية، مقبلاً على كل معطياتها خيرها، وشرها، من علم، وصناعة، وثقافة، وحتى أسلوب الحياة؛ لأنهم يرون أنَّ الثقافة كل لا يتجزأ، إما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها. ويكثر هذا الاتجاه لدى العلمانيين أمثال طه حسين وغيره والحدائين.

٣ - الاتجاه التوفيقى: يرى أتباعه التوفيق بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وفي حال حدوث تعارض، يرون أنَّه لابد من تقريب بعض مبادئ الإسلام التي تتعارض مع حضارة الغرب وثقافته، وتطوير تلك المبادئ حتى تواكب حضارة الغرب.

انطلق هذا الاتجاه من الحاجة الماسة لمواجهة كثير من القضايا المستجدة، لكنه انتهى إلى المطالبة بالنظر في التشريع الإسلامي ككله، والقيام بمحاولة التوفيق

بين الثقافة الإسلامية والغربية من خلال الدعوة إلى تقريب المبادئ بينهما، وتطوير الإسلام ليتناسب مع معطيات الثقافة الغربية، مع الميل إلى تبني الثقافة الغربية، والبحث عن الأدلة المؤيدة لذلك من أقوال العلماء والمفكرين المسلمين بحجة أن مصالح المسلمين تتطلب هذا التطوير، وفي هذا مَسْخٌ للإسلام وتشريعاته، وتشويشٌ على المسلمين مع تفريق وحدتهم.

٤ - الاتجاه المعتدل: يرى أتباعه أن يحتفظ المسلمون بإسلامهم وثقافتهم المتمثلة في الكتاب والسنة، مع الوقوف عند حدود الفكر الإسلامي الأصيل، مع الاستفادة من خير ما أفادت منه المدنية الغربية في شتى المجالات من العلوم التجريبية، فيرون أخذ المناسب من الحضارة الغربية، وترك ما لا يناسب منها؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من كل أحد ما لم تعارض ثقافته^(١).

وهذا الاتجاه الأخير هو الاتجاه الصحيح الذي يحاول الوقوف في وجه تحديات الثقافة الغربية مع الاستفادة من المفيد فيها.

هذه المواقف الأربعة بتوجهاتها المختلفة، أثرت في المجتمع الإسلامي بصورة لا يمكن تجاهلها؛ لأنها أدت إلى اضطرابات سياسية، وتصدعات اجتماعية، وصراعات داخلية، أنهكت الأمة، ومزقت شملها، وأحدثت الفرقة بين صفوفها، مما ساعد كثيرًا على تغلغل الفكر والثقافة الغربية بطريقة قوّت حدة التناقض في الحياة العملية والمعنوية، نتيجة للتناقض الحاد بين المواقف والأفكار المحيطة بالفرد المسلم، الذي وقع أسيرًا لها، والوهن العقدي، والفوضى الفكرية، والتخبط السلوكي.

(١) انظر الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر (ص: ٣٨)، ومدخل إلى الثقافة الإسلامية (ص: ٣٨).

الحوار بين الحضارات

أولاً: الإسلام دين الحوار:

الحوارُ منهجٌ قرآني، فقد كلّم الله ملائكته واستمع منهم ﴿! " #

1 0 / . - , + *) (' & % \$

﴿2﴾ [البقرة: ٣٠].

V U T S R Q P O N M L ﴿كذلك رسله﴾

Z Y X W ﴿[المائدة: ١١٦]، وحتى مع الكافرين ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى

وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [١٢٥] ﴿! " # \$ % ' (﴾ [طه: ١٢٥-١٢٦].

/ . - , + *) (' & % \$ # " ! ﴿وحتى مع إبليس ﴿

﴿210﴾ [الأعراف: ١٢].

والقرآن مليءٌ بمحاوراتِ الرسل مع أقوامهم ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ

فَاطِرِ ۖ وَالْأَرْضِ ﴿[إبراهيم: ١٠].

A @ ? > = ﴿وتأمل حوارَ إبراهيم عليه السلام مع مدعي الربوبية ﴿

R Q P O N M L K J I H G F E D C B

b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U S

﴿i h g f e d﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وحوارَ موسى مع فرعون مدعي الألوهية والربوبية في سُورٍ عديدةٍ في

القرآن، وكذلك بقيةِ الرسل عليهم صلوات الله وسلامه حيث يحاورون أقوامهم

بالحكمة لدعوتهم إلى الله وبيان الحق لهم والردّ على شبهاتهم.

وهذا القرآن يحكي حوار النبي ﷺ مع امرأة ﴿ ! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 ﴾ [المجادلة: ١].

وحضارتنا الإسلامية على مدى التاريخ هي حضارة الحوار فقد حاور علماء المسلمين كافة أهل الملل والنحل بالمنهج القرآني والدعوة إلى الخير^(١).

ثانياً: أهم أهداف الحوار في الإسلام:

١ - الدعوة إلى الإسلام، وعبادة الله وحده لا شريك له: وهذا أسمى هدف

﴿ X W V U T S R Q P O N M L ﴾ [فصلت: ٣٣].

ويدخل في ذلك إبراز محاسن الإسلام والرد على شبهات أعدائه وإيضاح الحقيقة العظيمة في الحكمة من خلق البشر وما يُراد منهم وما يراد بهم وما مصيرهم.

فالحوار مطلب إسلامي لكي نقوم بواجبنا تجاه الأمم الأخرى ليس لإفادة أنفسنا فحسب بل لفائدة الأمم الأخرى أيضاً لنوصل إليها الخير الذي أمرنا به.

فالأمة الإسلامية هي صاحبة الرسالة الأخيرة، وعليها واجب البلاغ، قال

تعالى: ﴿ 7 6 5 4 3 2 1 0 / . ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢ - تحقيق وظيفة الإنسان في الأرض: وهي الخلافة وعمارة الأرض ﴿ !

" # \$ % & ' () ﴾ [البقرة: ٣٠]^(٢).

(١) انظر: موقف الإسلام من الحضارات الأخرى، د. محمد نورد شان، بحث مقدم إلى ندوة الإسلام وحوار الحضارات، غير منشور، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض - السعودية، محرم ١٤٢٣ هـ (ص: ٦).

(٢) انظر: مدخل إسلامي لحوار الحضارات، ص (١١-١٢).

٣- تبادل العلوم النافعة: وحلُّ الإشكالات القائمة والتعاونُ على الخير ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

أهداف باطللة من الحوار:

١ - موالاة الكفار ومودتهم من دون المؤمنين، فقد جاءت النصوص القطعية في النهي عن ذلك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ﴾ [آل عمران: ٢٨].

٢ - التنازلُ عن شيءٍ من ثوابتنا العقدية أو الشرعية، أو المشاركة في الدعوات المغرضة لوحدة الأديان التي تساوي الإسلامَ بغيره وخطِ الحق بالباطل، أو مشاركة الكفار في باطلهم، وقد نهى الله نبيه عن ذلك فقال سبحانه: ﴿! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ?﴾ [الكافرون: ١-٦]، وقال أيضاً: ﴿وَدُّوا لَوْ﴾ © فَيُدْهِنُونَ ﴿ [القلم: ٩].

ثالثاً: آداب الحوار:

من أهم آداب الحوار:

١ - حسنُ القصدِ من الحوار: وذلك بالإخلاصِ لله والرغبة في طلبِ الحق، قال تعالى: ﴿o nm l k j i h﴾ [البينة: ٥].

٢ - العلم: فلا حوارَ بلا علمٍ، والمُحَاوِرُ الجاهلُ يفسدُ أكثرَ مما يصلح، وقد ذمَّ الله سبحانه وتعالى المجادلَ بغيرِ علمٍ ﴿ > = < E DCB A @ ?﴾ [الحج: ٨].

العلم عام في كافة مواضع الحوار، فيشمل العلم بالإسلام وعقيدته وحضارته

والعلم بالمحاورين وخلفياتهم وكافة ما يحتاج إليه في الحوار.

فالمُحَاوِر المسلم داعٍ إلى الله يجبُ أن تكونَ دعوتهُ بعلم وبصيرة كما قال سبحانه: ﴿P Q R S T U V W X Y Z﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالعلمُ بالإسلام وحضارته وشبهات المخالفين في غاية الأهمية في حوار غير المسلمين لإقناعهم ورد شبهاتهم، فضلاً عن عدم الانخداع والتأثر بها.

٣- التزام القول الحسن، وتجنب منهج التحدي والإفحام: حيث إن أهم ما يتوجه إليه المُحَاوِر التزام الحسنى في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل: ﴿P Q R S T U V W X Y Z﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿~ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]^(١).

وعلينا أن ننأى بأنفسنا عن أسلوب الطعن والتجريح والهزء والسخرية، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز.

٤- التواضع واللين والرفق من المُحَاوِر وحسن الاستماع وعدم المقاطعة والعناية بما يقوله المُحَاوِر: فهو أدعى للوصول إلى الحقيقة واستمرار الحوار، وهذا ما علمناه القرآن، فقد أمر الله نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام عند مخاطبة فرعون الذي طغى وتجبر وادعى الألوهية والربوبية، فقال سبحانه: ﴿Z Y X ~ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

٥- الحلم والصبر: فالمُحَاوِر يجب أن يكونَ حليماً صبوراً، فلا يغضبُ لأنفه سبب، فإن ذلك يؤدي إلى الثغرة منه والابتعاد عنه، والغضب لا يوصل إلى إقناع الحُصَمَ وهدايته، وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر، والحلم من صفات المؤمنين قال

(١) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، (ص: ١٣).

تعالى: ﴿ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ : ﴾ [أل عمران: ١٣٤]. وعندما قال رجلٌ للنبي ﷺ أوصني، قال: «لا تغضب»^(١) وكررها مرارًا.

ومن أعلى مراتب الصبر والحلم مقابلةُ الإساءة بالإحسان، فإن ذلك له أثره العظيم على المُحاور، وكثيرٌ من الذين اهتدوا لم يهتدوا لعلمِ المُحاور واستخدامِهِ أساليبِ الجدل، وإنما لأدبه وحسنِ خلقه واحتماله للأذى ومقابلته بالإحسان، وقد نبه الله ﷻ الداعين إليه إلى ذلك الخلق الرفيع وأثره وفضل أصحابه، فقال تعالى: ﴿ Z Y X W V U T S R Q P O N M L k j i h g f e d c b a ` ^] \ [w v u t s r q p o n m l ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

٦ - العدلُ والإنصاف؛ يجب على المحاور أن يكونَ منصفًا فلا يرد حقًا، بل عليه أن يبدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة التي يُوردها محاوره وهذا الإنصاف له أثره العظيم لقبول الحق، كما تضفي على المحاور رُوحَ الموضوعية.

والتعصبُ وعدمُ قبولِ الحق من الصفات الذميمة في كتاب الله فإن الله أمرنا بالإنصاف حتى مع الأعداء فقال: ﴿ Z Y X { | } ~ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

والإسلامُ ينطلقُ في الحوارِ من التكافؤِ بين البشرِ لا تفاضلٍ لِعَرَقٍ كما حكى الله عن اليهود قولهم: ﴿ \$ % & ' ﴾ [المائدة: ١٨]، أو لونٍ كما يدعي

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٥٧٦٥).

العنصريون البيض في أوروبا، أو طبقية كما هي عند الهندوس، وإنما بصلاحتهم، ولتأمل آية قرآنية مفتوحة بالمبدأ ومقررة وجود الاختلاف ومبينة أهمية التعارف وخاتمة بميزان التفضيل ﴿ N M L K J I H G F E Z Y X W U T S R Q O ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهذا الاختلاف من آياته سبحانه ﴿ s r q p o z y x w u t ﴾ [الروم: ٢٢].

فالإسلام يقرر أن الاختلاف حقيقة إنسانية طبيعية ويتعامل معها على هذا الأساس ﴿ v u t s r q p n m l k j z y x w ﴾ [المائدة: ٤٨].

فوجود الاختلاف أمر واقع وله حكم إلهية ويجب التعايش وفق ما أمر الله من الدعوة والنصيحة^(١).

وأخيراً هذه نظرتنا للحوار والاختلاف، ولكن عندما ننظر إلى الواقع ودعوات الحوار الصادرة من الغرب لنا أن نتساءل: كيف يؤتي الحوار ثماره في العالم اليوم بين الشرق والغرب أو بين الشمال والجنوب وهو يصاحب الهيمنة والاستعلاء، والظلم والجور، والاحتلال ولغة السلاح^(٢).

أي حوار ينادي به الغرب مع هذا العدوان والظلم ولغة الاستعلاء، وفرض المصطلحات واستغلال التفوق الإعلامي لتشويه الآخرين.

كيف نشق بهذا الحوار الذي يهدف إلى نمط جديد من الدبلوماسية لتكريس

(١) انظر: مجلة المعرفة، العدد ١٠١ شعبان ١٤٢٤ هـ، موضوع قيم الإسلام، الحوار الانفتاح على العالم، ص: (١٨ - ٢٦).

(٢) انظر: من أجل حوار بين الحضارات، (ص: ٩).

الظلم ومصالح تتعلق بالاقتصاد والسياسة ومواصلة الحرب والصراع والاحتلال. إن الغرب مطلوب منه قبل أن يتحدث عن الحوار ونشر الديمقراطية (والشرق الأوسط الكبير) إن كان يريد خيراً بالآخرين يجب تخفيفُ الهوة السحيقة بين البلدان الغنية والفقيرة، وعليه مساعدة البلدان على التنمية لا توريثها في الديون والفقر، وفرض الإملاءات عليها، ومساعدة البلدان التي خربتها الحروب كالصومال وأفغانستان وغيرها على إنهاء ذلك الوضع، بل أن تكفَّ يدها عن إشعالِ الفتن في تلك البلدان.

بعد ذلك يُقال أننا نرفض الحوار والتسامح؛ ومن يتهمنا بذلك؟ إنه المستعطي الظالم المحتل لأرضنا والساعي لتشويه ديننا وثقافتنا، ومع ذلك فلا نزال نقولُ إننا مع دفاعنا عن ديننا وثقافتنا وأرضنا وأنفسنا فإننا نرى أن الحوار هو خيارٌ مهم لتحقيق أهدافنا العليا القائمة لمصلحة البشرية.

رابعاً: السنن الإلهية المتعلقة بالحضارات^(١)؛

يبيّن الله تعالى في آياتٍ كثيرات من القرآن الكريم أنه سبحانه قد خلق هذا الكون وفق منهج سنني مطرد، وأنه قد أخضع كل أمر فيه لسنة (= قانون) لا تبدل ولا تتحول وأن هذه السنن لا تسري فحسب على المخلوقات المادية، بل تسري كذلك على حياة الأمم والأفراد، ولهذا نجد القرآن الكريم يوجهنا مراراً وتكراراً للنظر في قصص الأمم الغابرة لاستنباط تلك السنن التي على أساسها تنهض الأمم أو تنحط أو تبيد! ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿! " # \$ % & ' () * +﴾ [الروم: ٤٢] وذلك لأن التاريخ -بمنظور القرآن الكريم- هو المختبر الحقيقي لصواب الفعل البشري، ومن ثم فإن العودة

(١) <http://www.drkanaan.com/forums/archive/index.php?t-٥١١.html>

إلى صفحات التاريخ وفهم سنن الوجود الاجتماعي يُكسبنا القدرة على تسخير هذه السنن في بناء المجتمع الفاضل الذي يعيد هذه الأمة إلى موقع الشهادة على العالمين، كلما أراد لها ربُّ العزة سبحانه حيث قال: ﴿ : > @ ? A ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن هذا المنطلق فقد بينت آيات عديدة من القرآن الكريم سنن المعادلة الحضارية التي لا تتخلف، والتي تحكم مصائر البشر على اختلافهم وتنوعهم، ومن هذه السنن:

١ - سنة التدافع الحضاري: وهي التي بينها قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فقد اقتضت حكمة الخالق ﷻ أن يكون بين البشر نوعٌ من التدافع يمنع استئثار طائفةٍ من البشر بمصير البشرية كلها إلى نهاية التاريخ، وسنة التدافع هذه ماضيةٌ إلى يوم القيامة باعتبارها سنةً مطردة، وليس كما زعم المفكر الأمريكي (هنتنغتون) وأضرابه من أن الصراع على وشك التوقف، وأن السلام العالمي لن يلبث أن ينشر جناحيه على العالم! نعم قد تهدأ حدة الصراع حيناً من الزمان حتى ليخيل إليك أن البشرية قد بلغت أخيراً سنَّ الرشِدِ وآمنت بأن (الصلح خير!) إلا أن النظرة المدققة في صفحات التاريخ تُنبئك أن مرحلة السلام ما هي إلا وقفةً عابرةً كاستراحة المحارب بين جولتين.

٢ - سنة التداول الحضاري: وقد بينها قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فليس لأمةٍ من أمم الأرض أن تستأثر بمشعل الحضارة حتى آخر الزمان، وقد تناوبت على حمل هذا المشعل حتى الآن أمم كثيرة جداً، ذكر منها المؤرخ البريطاني الشهير (أرنولد تونبي) في موسوعته القيمة

(دراسة في التاريخ) أكثر من (٦٥٠ أمة) ثم تخلت عنها لتسلمها إلى غيرها، وهكذا هي سنة الله في خلقه، ومن ثم فإن الزعمَ بنهاية التاريخ عند نموذج حضاري بعينه كما فعل (فوكوياما) وقرينه (هنتنغتون) ما هو إلا من قبيل (التسويق) الفاشل لبضاعة لن تجد لها بعد حينٍ قصيرٍ من الزمان من يشتريها! وليس انهيارُ حلم الحضارة (الاشتراكية) عنا ببعيد!

٣- سنة الهلاك أو التدهور: وهي سنةٌ جاريةٌ لن ينجو من قبضتها أيُّ من أمم الأرض حتى المؤمنة منها، لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ مِّن قَرِيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ آلِيقَمَةٍ أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨] فليس لأمةٍ مهما أوتيت من جبروت سياسي أو تقدم تقني أو إنجاز علمي أن تبقى في القمة حتى آخر الزمان، بل الكلُّ إلى انحدارٍ أو هلاكٍ أو عذابٍ مدمرٍ قبل يوم القيامة! ومن أبلغ دروس التاريخ أن الانهيارَ غالباً ما يجيءُ وأهل الحضارة في قمة النشوة، كما بين الله ﷻ في كتابه العزيز حيث يقول: ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَجَدُّوا ظُهُورَهُمْ لِكُلِّ أُمَّةٍ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، فإذا ظنت الأمة أنها قد بلغت أوج مجدها، وأنها قد ملكت زمام الأمور جاءها أمرُ الله لينحيها عن دفة القيادة، وحلَّ في ديارها الخرابُ والدمارُ، وهذه أيضاً سنةٌ جاريةٌ مطردة من سننِ الله في الخلق نجد شواهدَها في صفحات التاريخ، وفي أطلالِ الحضاراتِ البائدة التي تملأ الأرض!

٤- سنة أن التطور الحضاري متاح للجميع: فليس التقدم الحضاري حكراً على أمةٍ من أمم الأرض دون غيرها كما زعمت بعض النظريات العنصرية (النازية مثلاً) وكما يزعم اليوم دعاة الغرب الذين يعتقدون أن التاريخ قد انتهى

عند نموذجهم الليبرالي، والحضارة أيضًا ليست حكرًا على المؤمنين دون الكافرين كما يخيلُ لبعضهم فيظنون أنهم (شعب الله المختار!) أو أنهم (أولياء الله وأحباءه!) وفي هذا يقول تعالى: ﴿B A C D E F G H I J K L M﴾ [الإسراء: ٢٠]، ومن ثم فإنَّ الحالة الحضارية قد تقومُ على قيم إيمانية وأسس أخلاقية، وقد تقومُ على قيم وأسس غير هذه كما هي حال الحضارة الغربية اليوم!

وهكذا نجد أن الحضارة الغربية السائدة اليوم، والتي يروج (بعضهم!) لنموذجها مدعيًا أنها النموذجُ الجديرُ بالاقتداء، وأن التطورَ البشريَّ قد وقف عندها باعتبارها قد بلغت القمة، لا تخرج عن سنن الله في خلقه، وأنها تندرج في إطار تلك السنن، وأنها ليست سوى مرحلةٍ من مراحل التاريخ، وسوف يجيء يوم قريب أو بعيدٌ فيطويها التاريخُ في قبضته التي لا ترحم ويحولها إلى مجرد ذكرى في سجلاته التي علاها الغبار! ومن يدري.. فقد تغيبُ حتى عن ذاكرة التاريخ نفسه فلا يعودُ يذكُرُ من أطلالها شيئًا كما فعلَ مع كثيرٍ من الحضارات التي بادت واندرست ولم تحفظ لنا سجلاتُ التاريخ عنها شيئًا! فهل من مدكر؟!^(١).

* * *

(١) انظر السنن الإلهية الكونية والاجتماعية لمحمد عمارة دار السلام للطباعة والنشر ٢٠٠٩. مدونة السنن الكونية الإلكترونية دراسة السنن الإلهية وأثرها لـ أبو مريم محمد الجريلتي. سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم دراسة تأهيلية، د. بكار محمود الحاج الطبعة الأولى ١٤٣٣، دار السنوادر.





ثانيًا: الخصائص العامة للإسلام

~ المدخل وفيه:

- المراد بالخصائص.
- تعريف الإسلام.
- المناهج الموجودة على وجه الأرض.

~ الخصائص العامة:

- الخسيطة الأولى: دين إلهي.
- الخسيطة الثانية: دين شامل.
- الخسيطة الثالثة: دين الفطرة.
- الخسيطة الرابعة: الوسطية.
- الخسيطة الخامسة: دين العلم.
- الخسيطة السادسة: دين الأخلاق.





الخصائص العامة للإسلام

الخصائص^(١) :

الميزات والصفات التي ينفرد بها دينُ الإسلام عن غيره من الديانات والمناهج الأخرى.

وأما الإسلام: فهو الاستسلامُ لله بالتوحيد والانقيادُ له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

الإسلامُ هو الدينُ الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين وأخبر سبحانه أنه لا يقبل من أحدٍ سواه، فقال جلَّ وعلا: ﴿لَٰكِنَّا نَحْنُ وَإِسْلَامُ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا الْوَسِيلَةَ أَلَمَّا يَنْزُلِ الْأَمْرُ مِنَّا لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد عرفه النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام وفيه أركانُ الإسلام حيث سألَه فقال: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ، إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ^(٢).

ولا شكَّ أن دينَ الإسلام هو الدينُ الحق المنزَّل من عند الله تعالى، وهو منهجُ الحياة المتكامل القائم على ما جاء في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من

(١) لسان العرب: مادة «خصص». (٢٥/٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري؛ كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم (٥٠). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... رقم (١٠).

بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وما ثبت من سنة نبي الهدى ﷺ، وذلك خلافاً لما سواه من المناهج والأديان الأخرى، ولعل عَرَضاً عاماً لتلك المناهج القائمة بين الناس على هذه البسيطة يُجَلِّي الصورة ويوضحها.

المناهج الموجودة على وجه الأرض:

إن النظم القائمة كلها - عدا دين الله تعالى الإسلام - لا تخرج عن أحد هذه الأصناف الثلاثة^(١):

الأول: منهج ديني محرف، فهو إلهي في الأصل، وله كتاب سماوي من عند الله ﷻ، ولكن دخله التحريف والتبديل، والحذف والزيادة، فاختلط فيه كلام الله تعالى بكلام البشر وأهوائهم، ومثاله: اليهودية^(٢) والنصرانية^(٣).

الثاني: منهج ديني بشري، فهو ديني لأن فيه القيام بأداء طقوس تعبٍ وتألهٍ يؤديها الإنسان لمألوه أو لعددٍ من الآلهة؛ من بشرٍ وحجرٍ ومالٍ وهوى وشهوةٍ وغير ذلك، وقد لا يكون فيها صلاحٌ حالٍ هذا الإنسان ولا تنظيمٌ حياته؛ وإنما طقوسٌ غامضة أو مُرعبة.

(١) انظر نحو ذلك في: مدخل لمعرفة الإسلام (١٣٦). والخصائص العامة للإسلام (٣٨).

(٢) اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه الصلاة والسلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي أرسل الله إليهم موسى عليه الصلاة والسلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً، ويبن الله عز وجل في القرآن الكريم أنهم حَرَفُوا وَبَدَّلُوا كلام الله تعالى. انظر الموسوعة الميسرة: (٥٠٠/١).

(٣) النصرانية: هي الرسالة التي أنزلت على نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، مكملتها لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، وقد تعرض الإنجيل للتحريف والتبديل كما ذكر الله تعالى ذلك في القرآن العظيم، وامتزجت النصرانية بمعتقدات وفلسفات وثنية. انظر الموسوعة الميسرة: (٥٧٤/٢).

وهو دينٌ بشريٌّ لأنه من صنع البشر، فليس له أصلٌ من عند الله تعالى، ومن أمثلة ذلك: الهندوسية^(١)، البوذية^(٢)، عبادة الشيطان^(٣)، عبادة الأصنام، وغيرها.

الثالث: منهج مدني بشري خالص. فهو مدني لأنه نظام حياة دنيوية؛ يعني بتنظيم حياة الإنسان الدنيوية وتحقيق مصالحه وفق ضوابط وقيود دنيوية، وبشري لأن مصدره البشر، أفراداً أو جماعات، فهو نتاج تفكير الإنسان واجتهاده وتنظيره، ومن أمثلة ذلك: العلمانية (Secularism)^(٤)، الشيوعية^(٥)، الرأسمالية^(٦)،

(١) الهندوسية: ديانة وثنية، نشأت قرابة القرن الخامس عشر قبل الميلاد، يعتقدون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهًا يُعبد؛ وهي آلهة كثيرة، وهم إذا أقبلوا على إله من الآلهة أقبلوا عليه بكل جوارحهم حتى تخفي عنهم كل الآلهة الأخرى، يلتقي الهندوس على تقديس البقرة. انظر الموسوعة الميسرة: (٧٣٤/٢).

(٢) البوذية: هي ديانة الهند في القرن الخامس قبل الميلاد. كانت متوجهة إلى العناية بالإنسان، وفيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف، والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. أسسها «سدهارتا جوتاما» الملقب بـ«بوذا» أي العالم المستنير، ولما مات إله أتباعه، فهم يعتقدون: أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلص للشريعة من مآسيها وآلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم. انظر الموسوعة الميسرة: (٧٦٨/٢).

(٣) عبادة الشيطان: ظهرت في خضم الوضع الشهواني العالمي، وتتمثل قيم هذه الفئة في الضياع وتغليب الممارسات الجنسية والرقص، ولهم كتابهم الديني وهو كتاب «الشيطان»، من تأليف الأمريكي اليهودي ليفي، المؤسس لكنيسة الشيطان بسان فرانسيسكو، بالولايات المتحدة، وهم يريدون أن تكون الحياة من غير قيود الأخلاقيين، ويرون أنه أن أوان التخلص من الأخلاق؛ لأنها عنصر تعويق وليست عامل دفع وترقية، وهم يرتدون الثياب السوداء، ويرسمون وشم الصليب المعقوف أو نجمة داود على صدورهم وأذرعهم. انظر: عبادة الشيطان؛ أخطر الفرق المعاصرة.

(٤) العلمانية وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، ومدلول العلمانية: عزل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع، وإبقاؤه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه. انظر الموسوعة الميسرة: (٦٨٩/٢).

(٥) الشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين، الملكية الخاصة، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وأنجلز. الموسوعة الميسرة: (٩٢٩/٢).

(٦) الرأسمالية: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها؛ بالبحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب، ويدعو إلى الحرية السياسية والأخلاقية والاجتماعية المطلقة. انظر الموسوعة الميسرة: (٩٢٠/٢).

الوجودية^(١)، وغيرها كثير.

هذه هي المناهج القائمة بين يدي البشر على وجه الأرض، ويبقى الإسلام وحده بصفائه ونقاؤه وسموه وكماله من بين سائر المناهج والأديان هو القادر على البقاء في خضم الصراعات الثقافية والفكرية والحضارية؛ لأنه يمتلك خصائص تؤهله لذلك، ويكفي وعد الله العليم الخبير القوي القادر بأنَّ العاقبة للمتقين، يقول جل وعلا: ﴿ Z Y X W V U T \ [k j i h g f e d c b a ` _ ^] m ﴾ [الصف: ٨-٩]^(٢).

وإنَّ أحداثَ الأيامِ الحالية وما تبع أحداثَ الحادي عشر من سبتمبر من تطوراتٍ واضطراباتٍ في العلاقاتِ العالمية بين الحضارات، لما يحتاجُ لوقفٍ نرى من خلالها مصداقَ كلام ربنا جل وعلا، ففي الوقت الذي تتجه سهامُ الاتهام والتشويه لدين الإسلام، من خلال دراساتٍ علمية ونفسية للتعرف على الإسلام، والتعرف على الطرق الأكثر أثراً في تشويهه وتنفير الناس منه، وتبني وسائل إعلامية قوية ومؤثرة مهمة القيام بدور التنفيذ لنتائج تلك الدراسات، بالرغم من كل ذلك يبقى الواقعُ دليلاً على عظمة هذا الدين، وقوته المؤثرة في العالمين، فمع كل هذه الجهود الإبلسية يتشتر الإسلامُ بشكلٍ أقوى مما هو عليه

(١) الوجودية: مذهب فلسفي أدبي ملحد، يركز على الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة، وأن للإنسان أن يثبت وجوده كما يشاء، فكل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً على الآخرين. فالوجودي الحق هو الذي لا يقبل توجيهاً من الخارج، إنما يسير نفسه بنفسه ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/٨٩٨).

(٢) كما قال تعالى: ﴿ O / . - , + *) (' & % \$ # " ! ﴾ 9 8 7 6 5 4 3 2 1 > [التوبة: ٣٢]-٣٣.

قبل هذه الأحداث، وهذا نورُ الله، والله تعالى متمُّ نوره ولو كره الكافرون^(١).

وفي حوارٍ مع المستشرق الأيرلندي الدكتور ألفريد وايزمان -أستاذ الحضارة والعلوم الاجتماعية الذي أصدرَ أهمَّ مجلةٍ استشرافية متخصصة في أوروبا وهي مجلة «حضارة الشرق»، حين سئل عن مستقبل الإسلام في الغرب، فقال: الإسلام دينُ المستقبل، لو أحسن المسلمون عرضه، بسبب وضوحه الشديد، وعدم اصطدامه بالعلم والحضارة والرقى، وإعماله العقل والتفكير، ودعوته للتطوير والارتقاء الحضاري، وخلوّه من التناقضات اللامعقولة.

ففي غمرة ما تعرض له المسلمون في أميركا بعد أحداث ١١ سبتمبر الماضي من أذىٍ معنويٍّ ومضايقاتٍ سياسية واجتماعية ومالية... هياً ما يشبه الصحوة في ضمير الأميركيين وعقولهم، وإن جاءت متأخرة، في محاولةٍ جادةٍ للتفهم والتبصر والتأمل بخلفيات وبواعث ما حدث ماضياً وحاضراً.

ومن المؤشرات البارزة على تلك الصحوة التي ما زالت قائمة إلى اليوم إقبالُ الأميركيين على زيارة المساجد والمؤسسات الدينية والثقافية، واستضافة بعض المحطات التلفازية لبعض الشخصيات الإسلامية والأميركية للحديث عن القضية الفلسطينية والانتفاضة. التي تعرضت إثر ذلك إلى انتقاداتٍ عنيفةٍ من قبل اللوبي الصهيوني.

كذلك التهافتُ الواسعُ على شراء نسخٍ من القرآن الكريم التي نفدت من الأسواق بسبب المنافسة على الشراء وغيرها من المؤلفات التي تتعلق بالعقيدة والتاريخ والحضارة الإسلامية.

(١) في مجلة الوعي الإسلامي، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، في العدد «٤٩٣»، الصادر في ٢٣/١٢/٢٠٠٦م.

((٤٤٤))&issue=١٣٩&sdd=١٣٩ http://alwaei.com/topics/view/article.php?

ولئن اختلفت دوافع الأميركيين وراء تهافتهم على شراء الكتب الإسلامية، فإن ذلك -بالتأكيد- سوف يصب في صالح الإسلام.

وفي حوار مع الدكتور فرانسوا بورجا، نشرته مجلة «لافيريتي» الفرنسية، ونشرت مجلة المجتمع ترجمة له؛ قال: طرحتم السؤال الأول عن أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وأريد أن أقول لكم إن الغرب استطاع بعد تلك الأحداث مثلاً أن يتعرف على الإسلام أكثر مما كان متاحاً في وقت آخر. في فرنسا اعترفت دور النشر الكبيرة أن الكتب الأكثر رواجاً في السنوات الأخيرة هي التي تناولت الإسلام، وهذا أسميه اهتماماً كبيراً بالإسلام ليس في فرنسا بل وفي أوروبا وأمريكا نفسها.

أمريكا نفسها اعترفت أن مليون شخص اعتنقوا الإسلام منذ سبتمبر ٢٠٠١ وهو رقم لم تحسب له الأجهزة الأمنية الأمريكية حساباً لأنها لم تتوقعه، ولكنه حدث، الناس صاروا أكثر اهتماماً بالإسلام، وثمة من اعتنق الإسلام لأنه وجد فيه ما فقدته في الحضارة الغربية القائمة على المادة^(١)، حيث وجدوا فيه الخصائص التي لا توجد في أي دين آخر.

* * *

(١) انظر موقع المختار الإسلامي، إشراف الدكتور عوض القرني.

[http://www.islamselect.com/php2/print_art.php?ref=٢٧٩٧١&\(\(rb=٠\)\)](http://www.islamselect.com/php2/print_art.php?ref=٢٧٩٧١&((rb=٠)))

الخصيصة الأولى:

دين الهي

الإسلام دينُ الله ﷻ الذي ارتضاه للعالمين، وهذه الخصيصةُ أعظمُ خصائصه وأُسُها؛ فما سواها من الخصائص نتيجة لها وثمرتها من ثمارها. دينُ أنزله الله تعالى على نبينا محمدٍ ﷺ، وتكفل بحفظه ونصره وإظهاره على الدين كله.

دينٌ من عند الله تعالى مصدره القرآن العظيم والسنة المطهرة الصحيحة، القرآن كلام الله المنزل على رسوله محمدٍ ﷺ. وقد حفظه الله تعالى: ﴿i h g m l k j﴾ [الحجر: ٩].

والسنة المصدر الثاني وحيٌّ من عند الله تعالى كما قال جل وعلا عن نبيه محمد ﷺ: ﴿4 3 2 1 0 / . - , +﴾ [النجم: ٣-٤].

ويبين الله تعالى مهمة النبي محمد ﷺ وهي إبلاغ دين الله إلى الناس، فقال جل وعلا: ﴿a ` _ ^﴾ [العنكبوت: ١٨، النور: ٥٤].

فهو ﷺ واسطة في إبلاغ شريعة الله تعالى من الله سبحانه إلى خلقه وبيانها لهم.

والله جل وعلا يقول في آية محكمة: ﴿! " # \$ % & ') * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < N﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

وجانب آخر من إلهية هذا الدين؛ فكما أن مصدره من عند الله تعالى فكذلك غايته وهدفه تحقيق مرضاة الله ﷻ والقيام بعبادته، فهذه الغاية التي من أجلها

خلق الله الجن والإنس، كما قال سبحانه: ﴿ I H G F E D C Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

ولهذه الخصيصة ثمرات منها:

١ - أنه يبين الحقائق الكبرى التي لا يستطيع الإنسان معرفتها إلا بالوحي المعصوم؛ كمعرفة الخالق ﷻ، وصفاته وأمره ونهيه، وبداية الخليقة والغاية من خلق الإنسان.

٢ - أنه دين من عند الله تعالى سالم من النقص والتعارض والهوى والحيف والظلم، فهو شرع الله العليم الخبير سبحانه، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يقول الله تعالى مبيناً عظمته دينه واتفاق تشريعاته: ﴿ L K X W V U T S R Q P O I M ﴾ [النساء: ٨٢].

٣ - موافقته للعلم الصحيح، والعقل السليم، فهو دين يعتني بالعلم ويمجد العلماء، ويحترم العقل ويخاطب عقول العقلاء. وقد بين جل وعلا مكانة العلم والعقل ومنزلة أهلها فقال سبحانه: ﴿ x w u t s z y ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

٤ - تحرير الإنسان من عبودية الإنسان والهوى؛ فيخلص في عبادته لله رب العالمين سبحانه وتعالى، ويعمل وفق شرعه وتوجيهه وأمره ونهيه.

عندما نزل قول الله تعالى عن اليهود والنصارى ﴿ اتَّخَذُوا ﴾ ٢٠ وَرُهِبْنَهُمْ أَرْكَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ [التوبة: ٣١]. سمع عدي بن حاتم رضي الله عنه النبي صلوات الله عليه يقول: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً

اسْتَحْلَوْهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»^(١).

وكما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه بين يدي رستم قائد جيوش كسرى: «إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثَنَا لَنُخْرِجَ مِنْ شَاءَ مَنْ عِبَادَةَ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمَنْ جَوَّرَ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ»^(٢).

٥ - تلبية مطالب النفس البشرية، وذلك بتشريع ما يصلح لها وما يصلحها، فهو دين الله الذي خلق الإنسان ويعلم ما يتناسب مع هذه النفس البشرية: ﴿...﴾
- . / ١ 2 ﴿[الملك: ١٤].

* * *

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم (٣١٩٧). وقال: حديث غريب. وحسنه الألباني.

(٢) البداية والنهاية، (٧-٤٧).

الخصيصة الثانية:

دين شامل

شرع الله سبحانه وتعالى للأمة ديناً شاملاً في أحكامه وتشريعاته للثقلين من الجن والإنس، ولكل تصرفاتهم وعلاقاتهم، حيثما كانوا؛ فوق أي أرضٍ وتحت كل سماء. يقول المولى جل وعلا: ﴿D C B A @ ?﴾ [النحل: ٨٩]، فهو «دينٌ ودولة، وهو عقيدةٌ وعبادة، وهو حكمٌ وقضاء، وشريعةٌ وقانون، ومصحفٌ وسيف، وجهادٌ ودعوة، وسياسةٌ واقتصاد، وعلمٌ وخلق وتوجيه»^(١).

وتتضح شمولية الإسلام في صور منها:

١ - أنه دينٌ شامل للثقلين: الجن والإنس. فأما الإنس فظاهرٌ في نصوص القرآن العظيم، يقول الله جل وعلا: ﴿d c b a `﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ويقول سبحانه: ﴿x w v u t s r﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأما الجن فيقول الله تعالى: ﴿H G F E D C﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢ - أنه دين شاملٌ للزمان كله؛ من بعثة نبينا محمدٍ إلى قيام الساعة.

٣ - دينٌ شاملٌ للمكان؛ فليس خاصاً بإقليم دون آخر، ولا بأمةٍ دون أخرى؛ شمولية مكانية؛ يطالب بهذا الدين كلُّ البشر في أيِّ مكانٍ ومن أيِّ أمةٍ، ويتأكد بها أن المسلم مطالبٌ بتنفيذ أحكام دين الله تعالى في كلِّ مكانٍ.

(١) الوجيز في الثقافة الإسلامية (٨٧).

وقد أنكر الإسلام أشدَّ الإنكار على من يأخذ من الدين ما يهوى، ويدع ما لا يوافق هواه، وينسى أن الإسلامَ كُلُّه لا يتجزأ، يقول الله جل وعلا: ﴿A

ML K J I H G F E DC B

Z YX WV U TS RQ P O N

﴿النساء: ١٥٠-١٥١﴾. [^ _] \

* * *

الخصيصة الثالثة:

دين الفطرة

والمراد بالفطرة الابتداء والاختراع، والمعنى في قوله: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل؛ لآفة من آفات البشر والتقليد^(١).

فالإسلام هو الدين الذي جبل الله الناس عليه وهياهم لقبوله والعمل به. فلا يتعارض مع طبيعة الإنسان ولا يتضاد مع رغباته؛ بل يتفق معها ويوجهها ويرشدّها إلى الأصح والأسلم، فلو تجرد الإنسان من الهوى والعناد، لا عترف بدين الإسلام وأنه الدين الحق... ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ اللَّهُ الْتَىٰ فِطْرَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ ۚ ۝ ١٢ ۚ أَلْقِيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجْسَانِهِ. كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ. هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿اللَّهُ الْتَىٰ فِطْرَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ ۚ ۝ ١٢ ۚ أَلْقِيْمُ﴾^(٢).

فالله جل وعلا خلق الناس حنفاء كلهم، ثم اجتالتهم شياطين الجن والإنس فصرفتهم عن الحق والهدى والفطرة السليمة، ففي حديث عياض ابن

(١) النهاية في غريب الحديث (٤٥٧/٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لا تبديل لخلق الله. رقم (٤٤٩٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨).

حمار المجاشعي رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا.. وفيه: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَّا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ؛ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»... الحديث^(١).

* * *

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (٢٨٦٥).

الخصيصة الرابعة:

الوسطية

وهي العدل والفضل والخيرية والتوازن، فالإسلام دين الوسط في كل الأمور عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً، وهو وسط بين غلو الديانات الأخرى وتفريطها، وهو وسط يجمع بين مطالب الروح والجسد والفرد والمجتمع، فلا يغلب جانباً على آخر إلا بما يتناسب مع صلاح الروح وسلامة الجسد وفلاح الفرد وإصلاح المجتمع.

وكما يأمر بالعبادة والعمل للدار الآخرة يوجه إلى السعي في طلب الرزق والمعاش في الدنيا، ويعتبر ذلك عبادة ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

إن أمة الإسلام أمة وسط، شهد لها بذلك خالقها سبحانه وتعالى ورتب على ذلك مكانتها ومنزلتها ودورها في هذا الكون، وبين الأمم: ﴿E D C B A @? > =﴾ [البقرة: ١٤٣].

فقوله سبحانه (وسطاً) أي عدلاً، ووسط الشيء أو أوسطه بمعنى أفضله وأعدله وخياره^(١). يقول الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى: «إنما وصفهم الله - تعالى ذكره - بأنهم وسط لتوسطهم في الدين»^(٢).

ونماذج وسطية الإسلام كثيرة، وليس المجال لذكرها ولكن نعرض لبعض الصور التي تدل على شيء من ذلك:

(١) لسان العرب: (٤٢٧/٧).

(٢) جامع البيان (٦/٢).

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أُخبروا، كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَا خَشَاكُمُ لَهِ، وَأَتَقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

٢ - ورأى النبي صلى الله عليه وسلم حبلاً ممدوداً بين ساريتين فسأل عنه، فأخبر أنه لزنبب تتمسك به إذا كسِلَتْ عن الصلاة، فأمر صلى الله عليه وسلم بإزالته وقال: «لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»^(٢).

٣ - وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ؛ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

وحينما نذكر وسطية الإسلام من خلال هذه الأحاديث والمواقف وغيرها، يجب علينا ألا ننسى ما يقابل ذلك وهو التفريط، فكما ذمَّ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الغلو،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٤٧٧٦) ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنة، رقم (١٤٠١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، رقم (١٠٩٩). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، رقم (٧٨٤).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، رقم (٤٩٠٣). ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً، رقم (١١٥٩).

وطلبَ الزيادة في العملَ تعبدًا لله ﷻ، فإن ذلك يعني التنبيه للمقابل وهو الوقوعُ في التفريطِ والتركِ لشيءٍ مما شرعَ اللهُ تعالى؛ كتركِ الفرائض ومواقعة الذنوب والاستهانة بالمعاصي: فكلًا طرفي الأمرِ خطأً ومخالفٌ لدين الله تعالى؛ الزيادةُ غلوٌّ في دين الله تعالى، والتركُ تقصيرٌ في حق المولى جل وعلا.

وشريعةُ الله تعالى هي الوسطُ القائمُ على أداءِ ما شرعَ اللهُ تعالى من غير تفريطٍ ولا إفراطٍ.

* * *

الخصيصة الخامسة:

للعلم في الإسلام مكانة سامية، ويكفي دلالةً على ذلك أن أول كلمة نزلت من عند الله تعالى على نبي الهدى ﷺ، هي قوله تعالى: ﴿﴾ {﴿﴾.

دين يُرفع من شأن العلم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

ولهذا ختم الله تعالى كثيرا من الآيات بالأمر بذلك والحث عليه، كما في قوله سبحانه: ﴿e d﴾، ﴿ } ~ ﴾، ﴿ K J I ﴾، ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، ﴿كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿hg﴾
i i k l.

وقد أُرشدَ اللهُ تعالى في القرآن العظيم إلى أن الكونَ بحقائقه يتفقُ مع ما جاء في القرآن العظيم، وأن العلمَ الصادقَ يزيدُ الإيمانَ في النفس، فقال جل وعلا:

﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

هذا هو العلم وهذا شيء من موقف الإسلام منه، مطلب العلم المادي الذي تحتاجه الأمة وتستغني به عن سواها من الأمم الكافرة واجب من الواجبات، وذلك لما يترتب عليه من استقلال الأمة وغلبتها وتمكنها من الصناعة والإنتاج.

والإنسان مهما بلغ في درجات العلم المادي البحت فإنه لا يزال قاصراً عن أن يحيط علماً بكل شيء، فالله تعالى يخبر عن ذلك فيقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد أثر ذلك تأثيراً حضارياً قوياً في الأمة، وكان ذلك بدافع من الدين الإسلامي الذي شجّع العلم، وقدر العلماء ودعا إلى التأمل والتفكير والتجريب، وأوروبا مدينة لهم بذلك^(١).

ولهذا فهناك فرق شاسع بين موقف الإسلام من العلم وخاصة العلوم التجريبية وموقف الكنيسة من ذلك، خاصة ما كان في أوروبا قبل الثورة الفرنسية، وسيطرة الكنيسة ورجالاتها على عقول الناس وتفكيرهم، وتحريمها كل محاولة للتحرر من العبودية لرجال الكنيسة. وما نتج عن ذلك من الثورة على الكنيسة. بينما الإسلام قام أصلاً على العلم والتوجيه إليه والتحاكم إليه، فلا يصح عقلاً ولا واقعاً إسقاط أخطاء الكنيسة الباطلة على دين الإسلام، وادعاء أن الدين الإسلامي عائق عن العلم ومانع من التقدم التقني والصناعي. وإن كان ذلك منهاج لمن لا معرفة عنده، أو من كان قصده غير الحق.

وإن المطلع على قرارات الجامعات العلمية - وخاصة ما يختص منها بالإعجاز

(١) الإسلام على مفترق الطرق (٧٠).

العلمي في القرآن والسنة - وما توصل إليه العلماء من حقائق علمية^(١) تتطابق مع ما جاء به الخبر في دين الله تعالى، يرى إعجاز دين الإسلام؛ فيجد في ذلك الطمأنينة والثقة والأنس بأن الله تعالى أنعم عليه بالهداية للإسلام، وأكرمه باتباع سيرة خير الأنام، محمد عليه الصلاة والسلام.

وحيث إننا نعيش عصر حضارة مادية طغت على مشاعر الإنسان وشغلت أحاسيسه، فإن نعمة الله تعالى على أمة الإسلام في أن يتوأكب هذا الدين بأصوله مع مقتضيات المرحلة وتظهر دلائل الإعجاز وإقامة الحجة على الناس في صور ظاهرة وصریحة، لا يمكن لأي بشر أن ينكرها ولا أن يتنكر لها، لهي دلائل على عظمة هذا الدين وعنايته بالعلم، ولهذا فتجد الإشارة إلى بعض من الصور الدالة على هذا الأمر المهم، مما تتجلى فيه صور الإعجاز العلمي في القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة، وتكون الإشارة دون التفصيل، فمن ذلك:

علم الفلك وما في هذا الكون الفسيح من عظيم صنع الله تعالى، وما توصل له البشر من حقائق سبق إليها الإسلام.

الأرض وما طرأ عليها من تغيرات، وحركة دورة الماء فيها، والجبال وتثبيتها للأرض، والشمس والقمر وجريانهما كل في فلك يسبحون.

الإنسان وخلقُه، وما في ذلك من حقائق جاءت صريحة في القرآن الكريم، ووقف على بعضها المكتشفون من الغربيين والشرقيين، كعلم الأجنة وما فيه، ومراحل خلق الإنسان، وطبيعته ونفسه ونهايته.

(١) لا يخفى على مسلم أن دين الله تعالى حق وصدق، وأن ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الثابتة حق لا يرتاب فيه، وأن ما يرد من بحوث ودراسات في هذا الباب فيه الحق البين الواضح، وفيه ما يتكلف له أصحابه ليتم التوافق والإعجاز، وإن ما نقصد له في هذا الباب هو الحقائق العلمية الواضحة، مما يستأنس به المرء، وتطمئن له النفس. والله أعلى وأعلم.

عالم البحار، وأمواجه، ووجود الماء العذب في أماكن من البحار المالحة لا تمتزج، وتمايز مياه الأنهار عند اختلاطها، بمياه البحار، فلا يطغى ماء البحر على ماء النهر. وكل ذلك العلم مع أن رسول الله ﷺ ما ركب بحرًا ولا عاش قرب شاطئ.

إلى غير ذلك من دلائل الإعجاز وبراهين الحق التي تقوم على البشر في صدق ما جاء به رسول الله ﷺ.

ولنعرض لذكر أمثلة مختصرة على الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة:

ومن نماذج ذلك الإعجاز:

* أسلم بعض الفلكيين لما سمع قول الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْفِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦]، وقال تصديقًا لهذه الآية: حقًا إننا لا نرى إلا مواقعها القديمة التي لم يصلنا ضوءها إلى الآن لبعدها عنا وهي تحركت عنها الآن، وأن التشكيلة المرئية إنما هي صورة لمواقعها.

* إخبار الله بضيق النفس عند الصعود إلى أعلى «الضغط الجوي»، يقول سبحانه: ﴿! " # \$ % & ' (* + , - . / 0 1 2 3 4 5﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فهذه حقيقة علمية حديثة.

* أخبر الله عن موجين في البحار: الموج الذي نراه، وموج آخر داخل البحار لم يكتشفه العلماء إلا حديثًا، فقد قال سبحانه: ﴿^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]. ولما سمع بحار إنجليزي بهذه

الآية سأل هل ركب محمد البحر؟ فلما قيل له: لا. آمن على الفور، وقال: إن ما ذكره محمد ﷺ إنما هو من عند الله، وليس من تلقاء نفسه.

* وما ذكره الله عن البحر: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ۖ وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ وَجِجٌ رَّجُورٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، فلا تختلط مياه البحار ولا تطغى على مياه الأنهار مع أنها تلتقي، بل جعل الله حاجزاً طبعياً يمنع انتقال الملح إلى مياه الأنهار حتى في حالات المد.

* مراحل خلق الإنسان بدءاً بأصله وهو من تراب ثم أحوال الجنين في بطن أمه، قال سبحانه: ﴿po n ml k j i hg f e { z y x w v u t s r q | ~ الْعِظَمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ ۝ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وجاء الطب الحديث بما يوافق تلك الحقائق التي نزلت على النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، حتى أسلم عددٌ من علماء الأجنة.

* أخبر الله سبحانه عن بداية الأرض وأنها كانت ملتصقةً مع الشمس ثم انفصلتا، وأن الماء أصل كل حياة، ودور الجبال في ثبات الأرض، وحفظ توازنها، وجريان الشمس والقمر كل في فلك يخصه: ﴿h gf e dc x wv u t s r q p o n k j i { z y | ~ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ ۝ مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝﴾ (٣٢) ﴿وَهُوَ الَّذِي ۝ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣٣] (١).

(١) انظر: حوار مع نصراني (ص: ٢٥-٣١).

فهذه آيات الله تعالى مسطورة في كتابه العظيم، ومبثوثة في سنة نبيه الكريم، وشاهدة صدق في واقع الكون والحياة، يهدي بها الله عباده إلى وحدانيته وألوهيته وأسمائه وصفاته جلّ وعلا.

وأخيرًا فإنني أطمح أن يراجع القارئ الكريم هذه الكتب والمواقع المهمة لما فيها من حقائق عظيمة:

كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، لموريس بوكاي العالم الفرنسي الذي أسلم لما تجلّى له موافقة حقائق العلم للقرآن.

وكذلك مؤلفات الشيخ العالم عبد المجيد الزنداني.

<http://www.noorag.org>

وكذلك الموقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهو موقع متعدد اللغات، وتحت رعاية رابطة العالم الإسلامي، ويحتوي عددًا كبيرًا من البحوث والدراسات المتخصصة.

<http://www.55a.net/firas/arabic>

وكذلك موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة؛ موقع متعدد اللغات، ويحتوي موضوعات كثيرة ومتجددة.

* * *

الخصيصة السادسة:

دين الأخلاق

الإسلام دينُ الأخلاق، فما من حُكمٍ شرعيٍّ في دينِ الإسلام إلا ويلبِّي مقصداً خُلقيّاً حميداً للإنسان، ولهذا كان قول نبينا محمد ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(١)، وقوله: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ الثَّرَاوُونَ وَالتُّشَدَّقُونَ وَالتُّفَيْهِقُونَ». قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثَّرَاوُونَ وَالتُّشَدَّقُونَ، فما التُّفَيْهِقُونَ؟ قال: «التُّكَبَّرُونَ»^(٢). فالثَّرَاوَةُ والتشددُ والتفهيقُ صفاتٌ ذميمةٌ لما تتضمنه من معنى العُجبِ بالنفس والردُّ للحق والتعالي على الخلق.

وفي الحديث^(٣): «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا».

ثم إن لازم من يتمسكُ بالإسلام أن يكونَ حسنَ السلوكِ، ساميَ الخُلُقِ، شريفَ المعاملة، ولقد كان في سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام، وسلفِ الأمة، أعظمُ مثالٍ على ذلك المجتمع الأخلاقي المثالي.

واللهُ جل وعلا حين أثنى على نبيه محمد ﷺ، كان ثناؤه سبحانه بأبلغ وأرفعِ عبارةٍ في قوله جل وعلا: ﴿n ml k﴾ [القلم: ٤].

وحين يقرأ المسلم القرآن العظيم أو يتبعُ سنةَ رسولِ الله ﷺ يجد أن الله

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، (ص: ١٠٤)، وأحمد في المسند (٣٨١/٢)، والحاكم في المستدرک (٤٢٢١) وصححه على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم (٢٠١٨).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، رقم (٥٦٨٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ، رقم (٢٣٢٠).

تعالى يؤكدُ على صفاتِ أهلِ الإيمان، بأنها الصفاتُ الفاضلةُ، ويفصّل في ذكرها تفصيلاً يُبين سموَّ أخلاقِ هذا الدين ومقاصده، في صَبَغِ الناسِ بهذه الصبغة الأخلاقية الإلهية السامية، يقول الله جل جلاله: ﴿! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C﴾ [المؤمنون: ١-٦].

وقال جل وعلا عن عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴿٦٥﴾ خَاطِبَهُمُ الْجَهَنَّمُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا ﴿٦٧﴾ مُطْمَئِنِينَ ﴿٦٨﴾ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٩﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٧١﴾! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٨].

وفي سنة نبينا محمد ﷺ من النصوص ما يؤكدُ على هذه الحقيقة ويجعلها وصفاً رئيساً من صفات المؤمنين: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارُهُ؛ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ؛ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ»^(١). ويقول ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(٢).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (٣١٥٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير رقم (٤٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم (١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، رقم (٤٠).

HG F E D C B ﴿هو دينُ الصدق كما قال الله ﷻ﴾ ﴿[التوبة: ١١٩].

﴿هو دينُ الصبر؛ كما قال ﷻ﴾ ﴿إِنَّمَا يُوفَىٰ﴾ ﴿ê é è ç﴾ [الزمر: ١٠].

﴿هو دينُ التسامح والعفو؛﴾ ﴿K J I H G F E﴾ [الأعراف: ١٩٩].

﴿هو دينُ التعاون والنصرة؛﴾ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

﴿هو دينُ الوفاء؛﴾ ﴿Z [\] ^﴾ [المائدة: ١]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التي تحثُّ على الأخلاق الفاضلة.

وتتجلى هذه الخصيصة في أحكام هذا الدين وتفصيلات شريعة الله تعالى، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة فيها التربية على سخاء النفس وبذلها، وفي الصوم تلمس أحوال الفقراء والشعور بحاجتهم، وفي الحج نهي عن الرفث والفسوق والجدال والصخب، وتدريب النفس على الصبر والإيثار، والمعاملات بين الناس تقوم على الوضوح والمصلحة المتبادلة، وتذمُّ الأحكام الشرعية الأنانية والمكر والغش والخداع والاحتكار وكل ما فيه جهالة وغرر.

ثم إن من دلائل أخلاقية الإسلام، أن المسلم وهو في أقسى المواقف وأشدَّ الأوقات في الحرب وحين يُطرب ضجيج السلاح أسماع الأبطال، وحين تُحمل الأرواح على الأكف، وحين يتقابل المسلم مع الكافر في الحرب، تتجلى أخلاقية الإسلام، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ ١٢١ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿[المائدة: ٢].

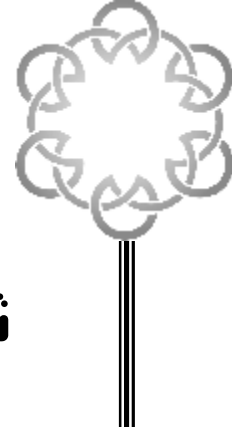
ولقد كان من سنن رسول الله ﷺ ووصاياه لمن يبعثهم من جند الإسلام، ما
فيه سمو أخلاق هذا الدين؛ فقد كان ﷺ إذا بعث أميراً على جيش أو سرية
أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزُوا بِاسْمِ
اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُثَمِّلُوا وَلَا
تَقْتُلُوا وَلِيدًا...» الحديث^(١).

فهذه لمحة سريعة لهذه الخصيصة التي يمتاز بها دين الإسلام عما سواه من
المناهج الأخرى.

* * *

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم (١٧٣١).





ثالثا: العقيدة الإسلامية

- ~ تعريف العقيدة الإسلامية وبيان أهميتها
- ~ منهج تلقي العقيدة الإسلامية والاستدلال عليها
- ~ أركان الإيمان:
 - ١- الإيمان بالله تعالى.
 - ٢- الإيمان بالملائكة.
 - ٣- الإيمان بالكتب.
 - ٤- الإيمان بالرسول.
 - ٥- الإيمان باليوم الآخر.
 - ٦- الإيمان بالقدر.
- ~ نواقض الإيمان:
 - ١- نواقض الإيمان الاعتقادية.
 - ٢- نواقض الإيمان القولية.
 - ٣- نواقض الإيمان العملية.





تعريف العقيدة الإسلامية، وبيان أهميتها

العقيدة في اللغة: مأخوذة من العقد، وهو الربط والشد بقوة^(١).

واصطلاحاً: لها تعريفان:

أولاً: التعريف الاصطلاحي العام:

عُرِّفت العقيدة وفق المفهوم العام بأنها: ما يَعتقدُ عليه الإنسان قلبه، عقداً جازماً ومحكماً لا يتطرق إليه شك.

ثانياً: تعريف العقيدة الإسلامية:

هي: «الإيمانُ الجازمُ بالله، وما يجبُ له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. والإيمانُ بملائكته وكتبه ورسوله واليومِ الآخرِ، وبالقدرِ خيرِه وشرِّه، وبكلِّ ما جاءت به النصوصُ الصحيحةُ من أصولِ الدينِ وأمورِ الغيبِ وأخبارِه»^(٢).

ومن مرادفات لفظ العقيدة: التوحيد، والسنة، والإيمان.

(١) انظر: القاموس المحيط مادة: «عقد».

(٢) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: ١١-١٢).

أهمية العقيدة الإسلامية:

للعقيدة الإسلامية أهمية كبيرة تظهر في الأمور التالية:

١ - أن جميع الرسل أُرسلوا بالدعوة للعقيدة الصحيحة، قال الله تعالى:

﴿ / . - , + *) (' & % \$ # " ! ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢ - أن تحقيق توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة هو الغاية الأولى من خلق

الإنس والجن، قال سبحانه وتعالى: ﴿ H G F E D C ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣ - أن قبول الأعمال متوقف على تحقق التوحيد من العبد، وكمال أعماله على كمال التوحيد، فأي نقص في التوحيد قد يُجْبِطُ العمل أو يُنْقِصُهُ عن كماله الواجب أو المستحب.

٤ - أن النجاة في الآخرة -ابتداءً أو مآلاً- متوقفة على صحة العقيدة، مما يبرز أهمية تعلمها واعتقادها على المنهج الصحيح. قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(١).

٥ - أن هذه العقيدة تحدد العلاقة بين العبد وخالقه: معرفة، وتوحيداً، وعبادة شاملة لله تعالى: بالخوف والرجاء، والمراقبة والتعظيم، والتقوى والإنابة... ورعاية تامة من الله للعبد: نطفةً، وصغيراً، وكبيراً، في البر والبحر، رزقاً وإنعاماً، وحفظاً وعناية.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في الصلاة، باب المساجد في البيوت، رقم (٤١٥)، ومسلم في المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، رقم (٢٦٣).

٦ - أن السعادة في الدنيا أساسها العلم بالله تعالى، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، فلا راحة ولا طمأنينة إلا بأن يعرف العبد ربه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

٧ - أن هذه العقيدة تجيب عن جميع التساؤلات التي ترد على ذهن العبد، ومن ذلك: صفة الخالق، ومبدأ الخلق، ونهايته، وغايته، والعوامل الكائنة في هذا الوجود، والعلاقة بينها، وموضوع القضاء والقدر...

٨ - تركيز القرآن والسنة على موضوع العقيدة: بياناً وتقريراً، وتصحيحاً، وإيضاحاً، ودعوة.

٩ - أن العقيدة الصحيحة سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين، فالطائفة المتمسكة بها هي الطائفة الظاهرة والناجية والمنصورة التي لا يضرها من خذلها. قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١).

١٠ - العقيدة الصحيحة هي ما يعصم المسلم من التأثير بما يحيط به من عقائد وأفكار فاسدة.

وفي الجملة فإن «العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين، وتصح معه الأعمال، كما قال تعالى: ﴿كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ ۖ لَأَشْرَكَتَ بِمَعْلُومٍ ۖ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فدلّت هذه الآيات الكريئات، وما جاء بمعناها، وهو كثير، على أن الأعمال

(١) تقدم تخريجه (ص: ٢٢).

لا تُقبلُ إلا إذا كانت خالصةً من الشرك، ومن ثمَّ كان اهتمامُ الرسلِ -صلوات الله وسلامه عليهم- بإصلاحِ العقيدةِ أولاً، فأوَّلُ ما يدعون إليه أقوامهم هو عبادةُ الله وحده، وتركُ عبادةِ ما سواه، كما قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لِّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَ أَيْدِيهِمْ وَلَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد بقي النبي ﷺ في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين. وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كلِّ زمانٍ حَذْوَ الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدؤون بالدعوة إلى التوحيد وإصلاح العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمرِ ببقيةِ أوامرِ الدين^(١).

* * *

(١) عقيدة التوحيد (ص: ٩-١٠).

منهج تلقي العقيدة الإسلامية

والاستدلال عليها

للعقيدة الإسلامية منهجٌ متميزٌ في تلقيها وأخذها، وكذلك الاستدلالُ عليها وهو منهجُ السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من الأئمة وسائر المهديين من أمة محمد ﷺ^(١).

أولاً: منهج تلقي العقيدة عند السلف يقوم على عدة أسس، منها:

١- الاختصارُ في منهج التلقي على الوحي:

وهذا مرده إلى إيمانهم بوجوب أن يعيش المسلم حياته كلها - اعتقاداً وعملاً وسلوكاً - مستمسكاً ومعتصماً بالوحي المتمثل في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا؛ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(٢).

ولهذا كان رسول الله ﷺ يحذرهم الالتفات إلى كتب السابقين التي دخلها التحريف.

(١) انظر في هذا الموضوع المراجع التالية: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/٥١-٧١)، وبحوث في عقيدة أهل السنة (ص: ٣٢-٤٣)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢٢٣-٥٣١).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، باب النهي عن القول بالقدر، رقم (١٦٦١). قال ابن عبد البر عن الحديث: «محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم. شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد» (التمهيد ٢٤/٣٣١).

٢- التسليم لما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي:

مما يميز المسلمين الذين يؤمنون بما جاءت به العقيدة الإسلامية، أنهم آمنوا بهذه العقيدة على الغيب، وقد جاء مدح هذا الإيمان في القرآن الكريم في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿ * + , - . ﴾ الآية [البقرة: ٢-٣].

ولما كانت العقيدة تقوم على الأمور الغيبية، كان مبنائها على التسليم بما جاء عن الله جلّ جلاله، وعن رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً، ما عقلناه منها وما لم نعقله.

فوظيفة العقل تتوقف عند التدبر في آيات الله، ومعرفة محاسن العقيدة والشرعة التي جاء بها الإسلام، كما أنه هو الآلة في فهم النصوص الشرعية واستخلاص المعاني المرادة منها.

٣- ترك الابتداع:

فهذا الدين كامل لا يحتاج إلى تكميل، قال تعالى: ﴿ N ML K UT SR Q P O ﴾ [المائدة: ٣]، فليس لأحد أن يحدث في هذا الدين أمراً لم يأت في الكتاب أو السنة، قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود رقم (٢٥٥٠)، ومسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور رقم (١٧١٨).

ثانياً : منهج السلف في الاستدلال على العقيدة يقوم على الأسس التالية :

١ - حُجِيَّةُ السَّنةِ (المتواترة والآحاد) في العقيدة:

اهتمَّ سلفُ هذه الأمةِ بالسَّنةِ النبويةِ اهتماماً بالغاً، واعتبروها حجةً بنفسها في جميع مسائل الدين: العلمية والعملية، ولم يعرفوا بدعة القولِ بالتفريق بين السنةِ المتواترةِ والسنةِ الآحاديةِ في الاحتجاج.

وهذا مبني عندهم على أسس، منها:

أ- أن اتِّباعَ السنةِ هو من أكبر ما يقتضيه الإيمانُ برسالةِ نبينا محمدٍ ﷺ.

ب- أن الرسولَ ﷺ أعلمُ الخلقِ بالله، وهو المبلِّغُ عنه دينَهُ الذي ارتضاه للناس، وهو مؤتمنٌ على وحي الله، فالحجةُ قائمةٌ فيما يبلغه كله.

ج- أن الرسولَ ﷺ بلغَ جميعَ الدينِ ولم يكتَمْ منه شيئاً، وأنه بلغه أتمَّ بلاغٍ وأبينه، فالتفريقُ بين ما بلغه في إفادته العلمَ والعملَ تفريقٌ باطلٌ، أساسه التقسيماتُ العقليةُ المتأثرةُ بالمنطقِ اليونانيِّ، الذي أغلبُ ما فيه جدلٌ عقيمٌ يشكُّ حتى في البديهيات.

٢ - ترك التأويل المذموم لنصوص الكتاب والسنة:

لأنَّ نصوصَ العقيدةِ لا يجوزُ صرفُها عن ظاهرِها بغيرِ دليلٍ شرعيٍّ ثابتٍ عن المعصومِ ﷺ، بل يجبُ اتباعُ المحكمِ وردُّ المتشابهِ إليه.

٣ - عدم التفريق بين الكتاب والسنة في الاستدلال:

فالكتابُ والسنةُ وحيٌّ من الله تعالى، والقبولُ لهما واجبٌ على حدٍّ سواء، قال تعالى: ﴿ + ، - ، 0 1 2 3 4 ﴾ [النجم: ٣-٤]. وقال ﷺ: «أَلَا

إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(١).

٤- صحة فهم النصوص^(٢):

فصحة فهم النصوص ركيزة أساسية لصحة الاستدلال، ولا يستطيع المرء معرفة مراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ إلا حينما يستقيم فهمه لدلائل الكتاب والسنة، وخاصة في هذا العصر الذي كثر فيه المتحدثون في أمور الدين عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ كالفضائيات والإنترنت، فالمعرفة بهذه القواعد الأساسية التي يركز عليها الفهم الصحيح تمكن من تمييز المتحدثين بحق من المنحرفين عن الفهم الصحيح، وركائز الفهم الصحيح للنصوص كثيرة منها:

أ- معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن وتكلم بها النبي ﷺ.

ب- الاعتماد على فهم الصحابة^(٣) لدلائل الكتاب والسنة لكون الرسول ﷺ بين أظهرهم، كما عايشوا نزول الوحي، فهم أعلم الناس بمراد الله ورسوله ﷺ، وهذا الأمر يتأكد خاصة إذا كثرت البدع والأهواء، قال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مَنْ بَعْدِي عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد (١٣٠/٤-١٣١)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة برقم (٤٦٠٤)، وصححه ابن حبان (١٢).

(١) انظر: منهج التلقي والاستدلال (ص ٤٨-٦٠).

(٢) ما أبلغ ما وصف به ابن مسعود أصحاب رسول الله ﷺ حين قال: «إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ». جامع بيان العلم (٩٤٧/٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٢٦/٤-١٢٧)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة رقم (٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة برقم (٢٦٧٦). وقال حسن صحيح. وصححه ابن حبان والحاكم.

ج - جمع النصوص الواردة في المسألة الواحدة، ثم الأخذ بها جميعاً، فلا يعطلون بعض النصوص ويعملون أخرى.

د - معرفة مقاصد التشريع الإسلامي: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشرعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين، حتى يُقدّم عند التزاحم خير الخيرين، ويُدفع شر الشرين»^(١).

* * *

(١) منهاج السنة (١١٨/٦).

أركان الإيمان

لا يخفى أنَّ أُسُسَ «العقيدة الإسلامية»: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه الأمور الستة هي أصول «العقيدة الإسلامية الصحيحة» التي نزل بها كتابُ الله ﷻ، وبُعث بها رسولُ الله ﷺ، ويتفرعُ عن هذه الأصولِ كلُّ ما يجبُ الإيمانُ به من أمورِ الغيب، وجميعُ ما أخبرَ اللهُ به ورسولُه ﷺ. وهذه الأصولُ تُسمَّى (أركان الإيمان):

والركن في اللغة: الجانبُ الأقوى للشيء، وفي الاصطلاح: ما لا وجودَ لذلك الشيء إلاَّ به.

والإيمانُ لغةً: نوعٌ من التصديقِ مما يؤتمنُ عليه المُخبرُ لأنَّه مما لا يدركه المُخبرُ بحسه^(١)، واصطلاحاً: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان.

والكتابُ والسنةُ مملوءان بالأدلة الواضحة المثبتة والموجبة للإيمان بهذه الأركان، ومن تلك الأدلة:

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «الإيمان ليس مرادفاً للتصديق في المعنى، فإنَّ كلَّ مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب، وأمَّا لفظُ الإيمان فلا يستعمل إلاَّ في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أنَّ من أخبر عن مشاهدة، كقوله: طلعت الشمس وغربت، أنه يقال: آمنه، كما يقال: صدقناه.. فإنَّ الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل فيما يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب، ولهذا لم يوجد قط في القرآن الكريم وغيره لفظ: آمن له إلاَّ في هذا النوع». كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٢٧٦).

من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ r q p n m l k j i h g z y x w v u t s ﴾ وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ [البقرة: ٢٨٥]. أي المرجع والمآب وهو يتضمن الإيمان باليوم الآخر^(١).

وَيُلْحِظُ أَنَّ الْأَصْلَ السَّادِسَ - وهو الإيمان بالقدر - لم يذكر في هذه الآية صريحاً؟ والجواب: أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ يَتَضَمَّنُهُ، فَإِنَّ الْقَدَرَ عَائِدٌ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ لِلْمَقَادِيرِ وَمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَخَلْقِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ. ومن أدلة القدر الخاصة قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ ﴾ [القمر: ٤٩].

ومن السنة:

حديث جبريل (عليه السلام) المشهور حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال ﷺ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٢).

فهذه النصوص دالة على أَنَّ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ سِتَّةٌ، وعلى وجوب الإيمان بها كلها، وأنه لا يتم إيمان العبد إلا بها، فالإيمان بها إجمالاً فرض عين على كل مكلف، فمن جحدّها أو جحد واحداً منها كفر؛ لأنَّ النبي ﷺ فسّر الإيمان بهذه الأصول الستة.

(١) وكذلك قوله تعالى: ﴿ W V U T S R Q P O N M L K g f e d c b a _ ^] \ Z Y X ﴾ [النساء: ١٣٦].
وقوله تعالى: ﴿ 1 0 / . - , + *) (' & % \$ # " 3 2 ﴾ [البقرة: ١١٧].

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم (٨).

الركن الأول:

الإيمان بالله تعالى

والإيمان بالله تعالى هو الأصل الأول من أصول الإيمان، بل هو أصل لأصول الإيمان، فالإيمان بسائر أصول الإيمان داخل في الإيمان بالله.

ولعظم شأنه ذكر في القرآن في سبعمئة وعشرين موضعاً - تقريباً^(١) -، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة يضيق المقام لسردها.

وقد جاء ذكر الإيمان بالله في السنة كثيراً كقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلْيُكُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»^(٢).

والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته.

الثالث: الإيمان بألوهيته.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

(١) انظر: «عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين» (٣٧/١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم (٦١١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان رقم (٤٧).

فأما الأمر الأول وهو: الإيمان بوجود الله تعالى:

فقد دلَّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١ - أما دلالة الفطرة على وجوده: فإنَّ كلَّ إنسانٍ مَفْطُورٌ على معرفة أنه لا بدَّ له من خالقٍ، ولا ينصرفُ عن مقتضى هذه الفطرة إلَّا من طَرَأَ على قلبه ما يصرفُه عنها؛ لقول النبي ﷺ: «ما مِنْ مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»^(١)، والفطرة هنا الملة الحنيفة وهي الإسلام، بمعنى أنه يولدُ مستعدًّا لتأثير الإسلام وقبوله ما لم تغير هذه الفطرة بتأثير الأبوين أو غيرهما.

٢ - وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقاتِ سابقها ولاحقها لابدَّ لها من خالقٍ أوجدها فهي لم توجد من نفسها ولا صدفة - أي من غير شيء أوجدها، لذا تعين أن يكون لها موجدٌ وهو الله رب العالمين.

وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى هذا الدليلَ العقليَّ والبرهانَ القطعيَّ في سورة الطور، حيثُ قال: ﴿: < = > ? @ A﴾ [الطور: ٣٥] يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالقٍ، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أنَّ لهم خالقًا خلقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سَمِعَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآية: ﴿: < = > ? @ A﴾ وكان - جُبَيْرُ - يومئذٍ مشرَّكًا قال: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرُ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي»^(٢).

(١) تقدم تخريجه (ص: ٦٤).

ومعنى قوله: «تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» أن البهيمه تلد البهيمه كامله الأعضاء لا نقص فيها وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا رقم (٣٧٩٨)، وكتاب التفسير، باب تفسير سورة الطور رقم (٤٥٧٣).

وإيضاح هذا الدليل أَنَّ المُحَدَّث لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ أَوْ أَنْ يُحَدِّثَ مِنْ
غَيْرِ مُحَدِّثٍ أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُحَدِّثٌ أَحَدُهُ، وَلَا يَحْتَمِلُ الْأَمْرُ غَيْرَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ،
فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مَمْتَنَعَانِ - وهما المنفيان في قوله تعالى: ﴿ : > = < ; @ ? > A ﴾ .

وبهذا يتبين أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا مِنْ هَذَا الْعَالَمِ فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَى
وَجُودِ اللَّهِ ﷻ وَعَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ Z { | } ~ وَالْأَرْضُ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ © قَدْ أَقْرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وقال: ﴿ - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 ﴾ [يوسف: ١٠٥].

وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ	أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ	وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ	تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

٣- وَأَمَّا دِلَالَةُ الشَّرْعِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى: فَإِنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ كُلَّهَا تَنْطِقُ
بَذَلِكَ، وَالْآيَاتُ فِي الْقُرْآنِ الدَّالَّةُ عَلَى وَجُودِهِ سَبْحَانَهُ كَثِيرَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ U
e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V
u t s r q p o n k j i h g f
﴾ [الأعراف: ٥٤].

وما جاءت به الكتب السماوية من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليلٌ
على أنها من ربِّ حكيمٍ عليمٍ بمصالح خلقه.

وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من ربٍّ قادرٍ على إيجاد ما أخبر به.

٤ - وأما دلالة الحسّ على وجود الله تعالى: فمن وجهين:

* أحدهما: أن «آيات الأنبياء» التي تسمى «المعجزات» ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهانٌ قاطعٌ على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمورٌ خارجةٌ عن نطاق قدرة البشر، يُجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصرةً لهم، مثل: آيات موسى، وعيسى، وإبراهيم... وبقية الرسل.

* الوجه الثاني: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدلُّ دلالةً قاطعةً على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿P ON ML RQ﴾.

الأمر الثاني - مما يتضمنه الإيمان بالله - الإيمان بربوبيته :

وحقيقته إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والرزق، والملك، والحكم والتدبير. فإفراده بالخلق والرزق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق ولا رازق إلا الله، قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣].

وأما إفراده بالملك بأن نعتقد أن الملك كله له، وأن كل شيءٍ ملكه، فهو المالك لكل شيء، والملك على كل شيء كما قال تعالى: ﴿هَـوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

وأما إفراده بالحكم والتدبير بأن نعتقد أنه لا حاكم ولا مدبر إلا الله وحده كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿~ أَلْحِكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ

﴿ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال: ﴿ S WVT [ZYX \ ﴾ [يونس: ٣].

ولم يُعَلِّمْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْأُمَمِ أَنْكَرَ رَبوبيةَ اللَّهِ سبحانه، وكثيرٌ من الملحدين ممن أنكر الله تعالى مكابرون غير معتقدين لما يقولون لما يقول كما حَصَلَ من فرعون عندما نسب الربوبية لنفسه فقال: ﴿ I J K ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿ I P ONM L KJ ﴾ [القصص: ٣٨]، لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿ ! " # \$ % & ﴾ [النمل: ١٤].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ آتَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩].

والإيمانُ بربوبيته يتضمنُ أَنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كلِّ شيءٍ قدير، وأنه لا مانعَ لما أعطى، ولا معطيَ لما منع؛ كما قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ ﴾ [١]، ﴿ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

الأمْر الثالث - مما يتضمنه الإيمان بالله - الإيمان بألوهيته :

وهو اعتقادُ أنه الإلهُ الحقُّ الذي لا يستحقُّ العبادةَ أحدٌ سواه، وأنَّ كلَّ معبودٍ سواه باطلٌ كما قال تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وهذا الإيمانُ يقتضي تخصيصَه بالعبادةِ بأن لا يُصرفُ شيءٌ منها لغيره تعالى، قال تعالى: ﴿ 2 3 ﴾ [الفاتحة: ٥] أي: لا نعبد غيرك، وقال: ﴿ بَلِ اللَّهُ فَعْبُدْ ﴾ [الزمر: ٦٦] أي: لا تعبد إلا الله. وقال: ﴿ i h g k j ﴾ [الإسراء: ٢٣].

٥- هو الأساس الذي تنبني عليه صحة جميع العبادات وبه يتحقق الإخلاص الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿T SR QP﴾ [الزمر: ٢].
فمن عبد مع الله غيره فذلك الشرك الأكبر الذي يَجْبُطُ معه العمل كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ ۖ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ومن أشرك بالله في نيته في بعض الأعمال - كالرياء - كان ذلك محبطاً لذلك العمل كما في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ»^(١).

ولا يزال الصراع بين الموحدين - أتباع الأنبياء - وأعدائهم من المشركين في توحيد العبادة قائماً حتى الآن، فأهل التوحيد يدعون من انحرف عن توحيد الألوهية وعاد إلى دين المشركين - بعبادة القبور والأضرحة، وتقديس الأشخاص، ومنحهم شيئاً من خصائص الربوبية، وطلب المدد من الأولياء والموتى - يدعون هؤلاء بأن يرجعوا إلى التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأن يتركوا دين الجاهلية.

وهذا التوحيد قائم على تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله والعمل بمقتضاها.

معنى شهادة أن لا إله إلا الله :

الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحق العبادة إلا الله والتزام ذلك والعمل به، (فلا إله) نفياً لاستحقاق مَنْ سوا الله للعبادة كائناً من كان، و(إلا الله) إثباتاً لاستحقاق الله وحده للعبادة.

ومعنى هذه الكلمة إجمالاً: لا معبود بحق إلا الله.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

فضل شهادة أن لا إله إلا الله :

١ - تتضمن أعظم معنى في الوجود، وهو استحقاق الله للعبادة، المتضمن لألوهيته وربوبيته سبحانه، يقول سبحانه لموسى عليه السلام لما قال له علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: «قل: لا إله إلا الله»، قال: كلُّ عبادك يقولونها. فقال سبحانه: «لو أن السموات السبع وعامرهنَّ غيري والأرضين في كفةٍ ولا إله إلا الله في كفةٍ لمالت بهن لا إله إلا الله»^(١).

٢ - تتضمن أعظم قولٍ وأفضل مقولٍ، لقوله ﷺ: «خير ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير»^(٢).

٣ - أنها مفتاح دخول الإسلام، ولا يقبل الله عملاً إلا بها، قال تعالى: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ ۖ﴾ © عَمَلَكَ ۖ.

٤ - أنها تنجيه من الخلود في النار: قال ﷺ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير»^(٣).

٥ - أنها تُدخل الجنة: قال ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٤).

إلى غير ذلك من الفضائل، وهذه الفضائل إنما تتأتى بالالتزام بشروطها، أما مجرد معرفتها فقد كان إبليسُ والمشركون يعرفونها، ومجرد التلفظ بها فالمنافقون يتلفظون بها.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٧١٠)، وابن حبان (١٤/١٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، رقم (٣٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم (٤٤).

(٤) أخرجه أحمد برقم (٢١٦٢٢)، وأبوداود: كتاب الجنائز، باب في التعليق، رقم (٣١٦٦).

شروط شهادة أن لا إله إلا الله :

لابد في (شهادة أن لا إله إلا الله) من ثمانية شروط لا تنفع قائلها إلا باجتماعها، وهي:

* الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.. بحيث يعلم القلب ما ينطق به اللسان. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

* الثاني: اليقين: هو كمال العلم بها المنافي للشك والريب. قال تعالى: ﴿... أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْيَقِينُ﴾ [الزمر: ٣]. } ~ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ سَبِيلَ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿ [الحجرات: ١٥]. وقال ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

* الثالث: الإخلاص المنافي للشرك: قال تعالى: ﴿... وَبِالْإِسْلَامِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(٣).

* الرابع: المحبة المنافية لصدّها وهو البغضاء: قال تعالى: ﴿... وَبِالْإِسْلَامِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ»

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم (٢٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم (٢٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»^(١).

* الخامس: الصدق المنافي للكذب، المانع من النفاق: قال تعالى: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ © الْكَذِبِينَ ﴿[العنكبوت: ٣].

* السادس: الانقياد المنافي للترك: قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ ﴿[الزمر: ٥٤].

* السابع: القبول المنافي للرد: فقد يقولها من يعرفها لكن لا يقبلها من دعاه إليها تعصباً أو تكبراً. قال تعالى: ﴿ك j i h g f e d c b﴾ ﴿[الصافات: ٣٥].

* الثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله: وهو البراءة من دين المشركين، وهذا هو مقتضى النفي في كلمة التوحيد (شهادة أن لا إله إلا الله) وهو الكفر بالطاغوت كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ أَفَقَدْ اءَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

فإن توفّر أصل هذه الشروط في قائل: (لا إله إلا الله) فلا بد أن يظهر أثر هذه الشهادة بترك الشرك، وفعل شيء مما دعا إليه رسول الله ﷺ مما تختص به شريعته، ويمتنع - مع توفّر هذه الشروط - ترك جميع الأعمال فإيمان القلب يستلزم جنس عمل الجوارح، وانتفاء جنس العمل يستلزم عدم إيمان القلب.

فإن توفّرت هذه الشروط على وجه الكمال؛ أثمرت فعل الواجبات والمستحبات،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٤٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم (٢٣).

وترك المحرمات والمكروهات - وقد يقع قائلها في ترك واجب أو فعل محرم فإن كانت من الصغائر؛ كُفرت بفعل الفرائض وترك الكبائر، وإن كانت من الكبائر فتأب منها؛ تاب الله عليه وغفر له، ومن لم يتب فهو تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أدخله الجنة، فدخل الجنة لمن مات على التوحيد مقطوع به.

ويتضح مما سبق من النصوص الرد على طائفتين:

* الطائفة الأولى: زعمت أن مجرد معرفة القلب كافٍ في دخول الجنة استدلالاً بمثل قوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

وهو زعم مردود؛ لأن (لا إله إلا الله) كما قُيِّدَت بالعلم قُيِّدَتْ بغيره؛ كالنطق بها والإخلاص لله. وهؤلاء هم غلاة المرجئة، وإمامهم الجهم بن صفوان.

* الطائفة الثانية: زعمت أن مرتكب الكبيرة مخلص في النار وإن قال (لا إله إلا الله) بقيودها المذكورة، وهم الخوارج والمعتزلة، وهو مردود كذلك بدليل قوله تعالى: ﴿{ zy xw vu tsr } | { ~ }﴾ [النساء: ٤٨]، وفي حديث أبي ذرٍّ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم (٢٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، رقم (٥٤٨٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، رقم (٩٤).

الأمر الرابع - مما يتضمنه الإيمان بالله - الإيمان بأسمائه وصفاته :

أي: إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ﴾ [الشورى: ١١]، ففي هذه الآية نفى الله - سبحانه وتعالى - أن يماثله شيء، وأثبت أنه سميعٌ بصير، فيسمى ويوصفُ بما سمى ووَصَفَ به نفسه في كتابه، وبما سماه ووصفه به رسوله ﷺ، ولا يتجاوزُ الكتابَ والسنةَ في ذلك؛ لأنَّه لا أحدَ أعلمُ بالله من الله، ولا أحدَ بعد الله أعلمُ بالله من رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ C D E F G H I J K L M N O P Q R ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿ h i j ﴾ [النحل: ٦٠] أي الوصفَ الأكمل.

وكذلك يجبُ نفْيُ ما نفاه الله تعالى عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ، وتنزيهه عن كلِّ نقصٍ وعيبٍ، فنثبتُ له الأسماءَ والصفاتَ مع نفْيِ مماثلتهِ للمخلوقاتِ إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل.

فهذه طريقةُ سلفِ الأمةِ من الصحابةِ والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ، وهم أهلُ السنةِ والجماعةِ.

والقاعدةُ في نصوصِ الأسماءِ والصفاتِ أنَّ الإثباتَ يأتي مفصلاً، والنفي مجملاً - وذلك في الأغلب^(١) - فمن الإثباتِ المفصلِ قوله تعالى: ﴿ n m p o

(١) ومعنى ذلك أنَّ الإثباتَ قد يأتي مجملاً، والنفي مفصلاً، ومعنى الإجمال: التعميم والإطلاق، ومعنى التفصيل: التعيين والتقييد، ومثال الإثباتِ المجمل قوله تعالى: ﴿ C D E ﴾، ومثال النفي المفصل قوله تعالى: ﴿ { | } ~ نَوْمٌ ﴾.

الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ { | } ~ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 ② الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ ۞ ۞ ۞ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿الحشر: ٢٢-٢٤﴾.

ومن النفي المجمل قوله تعالى: ﴿ 2 1 0 / ۞ ﴾ [الإخلاص: ٤]،
 وقوله تعالى: ﴿ 3 2 1 ۞ ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ = > ?
 @ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وينبغي أن يعلم أن كل اسم من أسماء الله متضمن لصفة فهي أعلام
 وصفات خلافاً للمعتزلة الذين زعموا أن أسماء الله أعلام محضة أي لا تدل على
 معاني.

فمن جحد أسماء الله وصفاته، أو سمى الله ووصفه بغير ما سمى ووصف
 به نفسه، أو سماه ووصفه رسوله ﷺ، أو شبه أسماء الله وصفاته بأسماء وصفات
 خلقه، أو أولها عن معناها الصحيح؛ فقد قال على الله بلا علم، وكذب على الله
 ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ ۞ \] ^ _ ` a b c d e f g h i
 ل ﴾ [الأنعام: ٢١].

والخلاصة:

أن الإيمان بالله تعالى المطلوب من جميع الثقلين، لا يتم تحقيقه إلا بالاعتقاد
 الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء، ومليكه، وأنه متصف بصفات الكمال
 والجلال، وأنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، والقيام بذلك،
 علماً، وعملاً، ولا يتحقق ذلك إلا باتباع خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ لا كما
 يظن الجاهلون والمغالطون أن الإيمان بالله يتحقق بالإيمان بوجوده، وربوبيته، دون

الإيمان بأسمائه وصفاته، وتوحيده في عبادته، ودون المتابعة لرسوله محمد ﷺ، مما جعلهم ينادون بالاتحاد بين الإسلام الحق، القائم على التوحيد الكامل وبين كل دينٍ محرفٍ مبدلٍ؛ فيه من نواقض هذا الإيمان ما هو من أغلظ الكفر.

وللإيمان بالله تعالى ثمار وأثار مباركة كثيرة منها:

- ١ - تحقيقُ توحيدِ الله تعالى، بحيث لا يتعلّق العبدُ بغيره رجاءً وخوفاً، ولا يعبدُ إلا هو تعالى.
- ٢ - تحقيقُ الأمنِ والهدايةِ والعزةِ والرفعةِ، والحياةِ الطيبةِ للمؤمنِ في الدنيا والآخرة.
- ٣ - تحقيقُ طاعةِ الله بإتيانِ أوامره واجتنابِ نواهيه، والانقيادُ الاختياريّ لحكمِهِ الشرعيّ، فلا يختار المؤمنُ غيرَ ما اختار اللهُ ورسولُهُ ﷺ له، ولا يتحاكَمُ إلى غير كتابه وسنة نبيه ﷺ.
- ٤ - الإحسانُ إلى الخلقِ، ورحمتُهُم، والعفوُ والصفحُ عنهم؛ طمعاً في إحسانِ الله ورحمته وعفوهِ وصفحهِ.
- ٥ - يحققُ محبةَ الله للعبدِ، ويُلقِي محبته في قلوبِ المؤمنين.
- ٦ - حفظُ الله للعبدِ المؤمنِ، قال ﷺ: «أَحْفَظُ الله يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ الله تَجِدُهُ تَجَاهَكَ»^(١).

* * *

(١) أخرجه أحمد (١/٣-٧)، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم (٢٥١٦). وقال: حسن صحيح.

الركن الثاني:

الإيمان بالملائكة

تعريف الملائكة:

لغةً: الملائكة جمعُ مَلَك -بفتح اللام-، واشتقاقه من الألوكة والمألُكة، وهي الرِّسالة، فَمَلَك أصله مَأْلَك -بزنة مَفْعَل- وجمعه ملائكة -بتقديم اللام على الهمزة-، فظهر أنَّ لفظ الملائكة يدلُّ لغةً على الإرسال^(١)، وهم كذلك كما قال تعالى: ﴿V U t﴾ [فاطر: ١].

واصطلاحاً: عالمٌ غيبيٌّ مخلوقون مربوبون مدبرون عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيءٌ، خَلَقَهُمُ اللهُ تعالى من نورٍ، ومنحهم الانقياد التامَّ لأمره، والقوة على تنفيذه.

وهذا التعريفُ مستفادٌ من جملةِ النصوصِ الواردةِ في كتابِ الله عز وجل، وفي السنة النبوية في الحديث عن الملائكة، مِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿sr q﴾ أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿[الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقوله تعالى: ﴿1 2 3 4 5 6 7 8 9 > : < I H G F E D C B A @ ? > = Q P ON M L K J﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ^(٢) مِنْ

(١) لسان العرب (٣٩٢/١٠) مادة: أَلَك.

(٢) لهب صاف لا دخان فيه.

نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ^(١)»^(٢).

الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

* الأول: الإيمان بوجودهم حقيقةً، وأنهم قائمون بأنفسهم، يذهبون ويحيئون، ويصعدون ويهبطون، ويقومون بما يأمرهم الله به أتم قيام.

* الثاني: الإيمان بمن سُميَ منهم باسمه؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

* الثالث: الإيمان بما أخبر الله به ورسوله ﷺ من صفاتهم، وهذه الصفات تنقسم إلى قسمين:

١ - صفات خلقية.

٢ - صفات خُلُقِيَّة.

أ- فمن الصفات الخلقية:

* أولاً: أَنَّ لَهُم أَجْنَحَةً: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى سِتْمَةِ جَنَاحَيْهِ﴾ [فاطر: ١] ومنهم من له ست مائة جناح كجبريل فقد أخبر النبي ﷺ أَنَّهُ رَأَاهُ عَلَى صِفَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا وَلَهُ سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ الْأَفَقَ^(٣).

(١) أي كما وصفه الله تعالى في كتابه العزيز في مواضع متعددة: بأنه من تراب وماء أي طين قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى سِتْمَةِ جَنَاحَيْهِ﴾ [السجدة: ٧].

(٢) أخرجه مسلم في، كتاب الزهد والرفاق، باب في أحاديث متفرقة، رقم (٢٩٩٦).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم (٣٠٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدره المنتهى، رقم (١٧٤).

ومن المعلوم أننا لا نعلمُ الكيفية التي خُلقَ عليها الملائكة ولا كيفية أجنحتهم؛ فمن يرسمُ صوراً بأجنحة يزعم أنها صورُ الملائكة فهو مفترٍ وقائلٌ على الله ما لا يعلم، وحسبنا أن نؤمن أن الملائكة ذوو أجنحة كما ذكر الله في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ.

* ثانياً: لا يأكلون ولا يشربون: واستدلَّ العلماء على ذلك بقوله تعالى عن ضيف إبراهيم من الملائكة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠].

* ثالثاً: لهم قدرة على التمثيل: فجبريلُ تمثل لمريم بشراً سوياً، وجاء مرة إلى النبي ﷺ في صورة أعرابيٍّ، ومرة في صورة رجلٍ غريبٍ، وكثيراً ما يتمثل بصورة دحية الكلبيِّ الصحابي الجليل^(١)، وكذلك الرسل الذين جاؤوا إلى إبراهيم ولوطٍ -عليهم السلام- تمثلوا بصورة رجالٍ غرباء.

ب - الصفات الخلقية:

* أولاً: طاعتهم لله قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

* ثانياً: عبادتهم لله بالصلاة والتسبيح قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

* ثالثاً: محبتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً ۖ وَآتَبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٨/١٦).

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغُضُ فَلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

* رابعًا: الحياء، كما جاء في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٢).

الرابع: الإيمان بما أخبر الله به ورسوله ﷺ من أعمالهم التي وُكِّلوا بها، وهم في ذلك أصناف كثيرة، منها:

١ - مَنْ وُكِّلَ بالوحي إلى الأنبياء وهو جبريل، وقد سماه الله روحًا قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا الرَّسُولَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

٢ - ومنهم ميكائيل، وقد اشتهر عند العلماء أَنَّهُ موكَّل بالنبات والقطر، وجاءت في ذلك آثارٌ عن السلف، ورُوي في ذلك حديث مرفوع^(٣).

٣ - ومنهم إسرئيل، وقد أجمع العلماء أَنَّهُ موكَّل بالنفخ في الصور المذكور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ينفخُ فِي الصُّورِ﴾ [الزمر: ٦٨].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأدب، بابُ المَقَّةِ مِنَ اللَّهِ تعالى، رقم (٥٦٩٣)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده، رقم (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عثمان ؓ، رقم (٢٤٠١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب (العرش) (ص: ٨٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٧/١) وفي إسناده مقال.

0 1 2 3 4 5 6 7 ﴿ [الزمر: ٦٨] ^(١).

وهؤلاء الثلاثة تضمنهم دعاء الاستفتاح الذي كان رسول الله ﷺ يدعو به في قيام الليل فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» ^(٢).

وفي ذكر أسماء الثلاثة (جبريل، وميكائيل، وإسرافيل) ما يدل على أفضلية هؤلاء الملائكة الثلاثة وكرامتهم عند الله عز وجل. وقد خص الله تعالى جبريل وميكائيل بالذكر في القرآن الكريم، وهذا تنويه على أنهما من أكابر الملائكة قال الله تعالى: ﴿w v u t s r q p o n m﴾ [البقرة: ٩٨].

٤ - من وُكِّلَ بحمل العرش قال تعالى: ﴿\ [z x w v _ ^]﴾ [الحاقة: ١٧].

٥ - خزانة الجنة والنار، كما قال تعالى في أهل النار: ﴿U T S e d c b a _ ^] \ [z x w v s r q p o m l k j i h g f v u t﴾ [الزمر: ٧١]. وقال في أهل الجنة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (١/٢٢٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧٠).

إِلَى ٢ زُمْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ ٣
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿ [الزمر: ٧٣].

٦ - مَنْ وَكَّلَ بِحِفْظِ الْعَبْدِ وَكِتَابَةِ عَمَلِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ Q P O X WV UT S R [الانفطار: ١٠-١٢].

٧ - مَنْ وَكَّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعِبَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ 9 8 ; :
﴿ L K J I H G F D C B A @ ? > < [النحل: ٢٨].

يتبين مما تقدم عِظَمُ شأنِ الملائكة في هذا الوجود، وعِظَمُ صلتهم وتأثيرهم في هذا العالم العلوي والسفلي، وبالإِنْسَانِ حَيًّا وَمَيِّتًا، ولِلْإِمَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ تَعْلِيْقٌ حَسَنٌ يَنَاسِبُ الْمَقَامَ؛ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ ذِكْرِ أَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ وَأَعْمَالِهِمْ وَعِلَاقَتِهِمْ بِالْإِنْسَانِ: «وَالْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلَةُ بِالْإِنْسَانِ - مَنْ حِينَ كَوْنِهِ نَظْفَةً إِلَى آخِرِ أَمْرِهِ - لَهُمْ وَلَهُ شَأْنٌ آخَرٌ؛ فَإِنَّهُمْ مُوَكَّلُونَ بِتَخْلِيْقِهِ، وَنَقْلِهِ مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ، وَتَصْوِيرِهِ، وَحِفْظِهِ فِي أَطْبَاقِ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ، وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ، وَعَمَلِهِ، وَأَجَلِهِ، وَشَقَاوَتِهِ، وَسَعَادَتِهِ، وَمَلَازِمَتِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَإِحْصَاءِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَحِفْظِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَقَبْضِ رُوحِهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ، وَعَرْضِهَا عَلَى خَالِقِهِ وَفَاطِرِهِ، وَهُمْ الْمُوَكَّلُونَ بِعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ فِي الْبَرْزَخِ، وَبَعْدَ الْبَعْثِ، وَهُمْ الْمُوَكَّلُونَ بِعَمَلِ آلَاتِ النِّعَمِ وَالْعَذَابِ.

وَهُمُ الْمُثَبَّتُونَ لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَالْمُعَلَّمُونَ لَهُ مَا يَنْفَعُهُ، وَالْمُقَاتِلُونَ الذَّابُّونَ عَنْهُ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَعِدُّونَهُ بِالْخَيْرِ وَيَدْعُونَهُ إِلَيْهِ، وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الشَّرِّ وَيَحْذَرُونَهُ مِنْهُ، فَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَنْصَارُهُ، وَحِفْظَتُهُ، وَمُعَلَّمُوهُ، وَنَاصِحُوهُ، وَالدَّاعُونَ لَهُ، وَالْمُسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَهُمْ الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ مَا دَامَ يَعْلَمُ النَّاسُ الْخَيْرَ، وَيُبَشِّرُونَهُ بِكَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي

منامه، وعند موته، ويوم بعثه...»^(١).

وبعد: فكلُّ ما تقدّم عن الملائكة هو اعتقادُ أهلِ السنّة والجماعة، وقد ضلّ في شأنِ الملائكة ثلاثُ طوائف:

* الأولى: المشركون الذين عبدوهم من دون الله، وزعموا أنهم بناتُ الله كما أخبر الله - سبحانه وتعالى - بذلك عن المشركين، وأنكر عليهم ذلك ووبّخهم في مواضع من القرآن كما قال تعالى: ﴿الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾^(١٤٩) أمَّ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَلَئِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ! " # \$ % & ' (* + , - . / 0 1 2 ﴿[الصافات: ١٤٩-١٥٧].

* الثانية: الفلاسفةُ الإلهيون القائلون بالعقولِ العشرة زعموا أنها هي الملائكة، وقولهم أقبحُ من قولِ المشركين فإنَّ هذه العقول التي يدّعونها لا حقيقةَ لها، والملائكة ليسوا عشرة بل هم كثيرٌ لا يُحصى عددهم إلا الله.

* الثالثة: بعضُ طوائفِ المتكلمين والفلاسفة زعموا أنَّ الملائكة قُوَى الخير في الإنسان، وكذلك الشياطين هي قُوَى الشرِّ^(٢)، وهذا يقتضي أنهم صفاتٌ للإنسان ليسوا خلقاً قائمين بأنفسهم، وهو قولٌ ظاهرُ البطلان؛ لأنَّه مناقضٌ لما دلت عليه نصوصُ الكتابِ والسنّة من أنَّ الملائكة عالمٌ من عالمِ الغيب، متميزون بذواتهم وصفاتهم وأعمالهم كما تقدم.

(١) إغاثة اللفهان (١٢٥/٢-١٢٦).

(٢) انظر: إغاثة اللفهان (٢٥٨/٢).

وللإيمان بالملائكة ثمار وأثار مباركة كثيرة منها :

- ١ - شكرُ الله تعالى على عنايته بالعبادِ حيث وكل الملائكة بحفظهم.
- ٢ - تحقيقُ الإيمان بالغيب.
- ٣ - التأدُّبُ والحياءُ؛ لاستشعار قربهم وملازمتهم للإنسان في أحوال كثيرة، وتجنب كل ما يؤذيهم من الأقوال، والأفعال، والأحوال، وبذلك يعيش المؤمن طاهر القلب، واللسان، والجوارح.
- ٤ - ملازمة الطاعة واجتناب المعصية؛ رغبة في كتابتهم الخير والشهادة عليه، ورهبة من كتابة خلافه والشهادة عليه.
- ٥ - الطمأنينة في المواطن التي يحضرونها ويصلُّون فيها على المؤمن رجاء بركة حضورهم وتحصيل المزيد من دعائهم وصلاتهم.

* * *

الركن الثالث:

الإيمان بالكتب

تعريف الكتب:

الكتب: جمع كتاب بمعنى مكتوب.

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمةً للخلق، وهدايةً لهم، ليخرج بها من شاء من الظلمات إلى النور.

ومعنى الإيمان بالكتب: التصديق الجازم بأن الله تعالى أنزل كتباً على من شاء من رسله وأنبيائه فيها الأخبار، والقصص، والمواعظ، والأوامر، والنواهي، والوعود، والوعيد، وأن الله تكلم بهذه الكتب كيف شاء.

الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

* الأول: الإيمان بها إجمالاً وأنها كلها منزلة من عند الله حقاً، قال تعالى:

﴿ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ : ؛ < = > ؟ @
P O N M L K J I H G F E D C B A

﴿Q [البقرة: ١٣٦].

* الثاني: الإيمان بما سُمِّيَ لنا منها على وجه الخصوص؛ كالتوراة، والإنجيل

والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿# \$ % & ' () * +

، - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ؛ :

< ﴿ [آل عمران: ٢-٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال تعالى:

﴿* + ، - . / 0 1 2﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

* الثالث: الإيمان بما في هذه الكتب إجمالاً، وبما أخبرنا الله ورسوله ﷺ به مما اشتملت عليه خصوصاً كما قال تعالى في التوراة: ﴿~ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى في صحف موسى وإبراهيم: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَإِذَا فِي صُحُفٍ مُوسَى﴾ (٣٦) ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزَرُهُ وَزَرَ أُخْرَى﴾ (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٦-٣٩].

* الرابع: الإيمان بهذا القرآن المنزل على خاتم النبيين وأنه أشرف وآخر كتاب نزل من عند الله، وأنه ناسخ لما سبقه من الكتب، وأنه حاكمٌ عليها، وأنه الذي يجبُ اتباعه بتصديق أخباره، وبإحلال حلاله، وتحريم حرامه، والعمل بأوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَفِي سَبْعِ سَمَاوَاتٍ مَائِدَةٌ تَزَلَّجُ فِيهَا السُّورَةُ الْمَائِدَةُ وَفِيهَا آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التغابن: ٨]، وقال الله تعالى: ﴿Z Y X W﴾ [المائدة: ٤٨]. أي: حاكماً وأميناً عليه.

ومما يجبُ اعتقاده أنَّ هذا القرآن كافٍ عمّا تقدمه من الكتب؛ كالتوراة والإنجيل، فلا يجوزُ النظرُ فيها طلباً للهدى، ويجبُ الاستغناءُ به عنها، ولذلك غَضِبَ النبي ﷺ حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطعةً من التوراة ينظرُ فيها وقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ، وَلَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).

وفي لفظ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي

(١) أخرجه أحمد (٣٨٧/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٠/١)، وصححه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢١٥/١).

لَضَلَلْتُمْ إِنَّكُمْ حَظِي مِنَ الْأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»^(١).

الغاية من إنزال الكتب:

أُنزِلَتِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ كُلُّهَا لِغَايَةٍ وَاحِدَةٍ: وَهِيَ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَدَايَةً لِلْعِبَادِ؛ لِيَصِلُوا بِاتِّبَاعِهَا إِلَى سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَى اللَّهِ كَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ الْمُفْلِحِينَ، وَمَنْ أَعْرَضَ كَانَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ الضَّالِّينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿ [طه: ١٢٣-١٢٤].

مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكتب السماوية:

تتفق الكتب السماوية في وَحْدَةِ الْمَصْدَرِ، وَوَحْدَةِ الْغَايَةِ، وَأَصُولِ الْعَقِيدَةِ، وَقَوَاعِدِ التَّشْرِيعِ الْعَامَةِ؛ كَالْعَدْلِ، وَالْقِسْطِ، وَأَدَاءِ الْحَقُوقِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْفَسَادِ وَالانْحِرَافِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ قَالَ تَعَالَى: ﴿N M L K Y W V U T S R Q P O [Z [النحل: ٩٠].

وتختلف الكتب السماوية في الشرائع قَالَ تَعَالَى: ﴿m l k j n [المائدة: ٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالدين واحد؛ وإنما تنوعت شرائعهم ومناهجهم كما قال تعالى: ﴿n m l k j فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية؛ فالاعتقادية؛ كالإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر. والعملية؛ كالأعمال العامة المذكورة في الأنعام، والأعراف،

(١) أخرجه أحمد (٤٧٠/٣).

وسورة بنى إسرائيل كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْمِنُ بِمَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾
 [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الآيات الثلاث، وقوله: ﴿ا k j i h g﴾
 [الإسراء: ٢٣] إلى آخر الوصايا، وقوله: ﴿ا﴾ رَّبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ
 كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقوله: ﴿S R Q P
 f e d c b a` _ ^] \ [Z Y X W V U T
 ا k j i h g﴾ [الأعراف: ٣٣] فهذه الأمور هي من الدين الذي اتفقت
 عليه الشرائع^(١).

وللإيمان بكتب الله المنزلة ثمار وأثار مباركة عديدة، منها:

- ١ - العلمُ بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.
- ٢ - عبادة الله على بصيرة.
- ٣ - العيش مع القرآن، والتعبد بتلاوته وحفظه، والعمل به، وإقامة حدوده.
- ٤ - تربية النفوس بحسب أوامره وتوجيهاته.

* * *

(١) مجموع الفتاوى (١٥٩/١٥).

الركن الرابع:

الإيمان بالرسول

تعريف النبي والرسول والفرق بينهما:

النبي لغة: مشتق من النبأ وهو الخبر الذي له شأن، وإنما سُمي النبي نبياً؛ لأنه مُخَبَّرٌ، ومُخَبِّرٌ، «مُخَبَّرٌ»: أي أن الله أخبره وأوحى إليه، و«مُخَبِّرٌ»: أي يخبر عن الله تعالى وحيه وأمره، وقيل: النبوة مشتقة من النبوة: وهي ما ارتفع من الأرض^(١).

والرسول في اللغة: مأخوذ من الإرسال وهو: البعث بأمر؛ كالبعث بالكتاب. وأما في الاصطلاح: فالمشهور أن الرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي هو من أوحى إليه ولم يؤمر بالبلاغ.

وعلى ذلك فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وقيل: إن الرسول من أرسل إلى قوم كفار؛ كنوح وهود وموسى، والنبي من أرسل إلى قوم مؤمنين كأنباء بني إسرائيل مثل: زكريا ويحيى.

وعلى هذا فالنبي والرسول كل منهما مرسل يدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرْسَلْنَا مِنْكَ نَبِيًّا﴾ [الحج: ٥٢]^(٢).

حكمة إرسال الرسول:

لما كان العقل البشري لا يتمكن من عبادة الله - تعالى - على الوجه الذي يرضاه ويحبه، وكذلك لا يستطيع التنظيم والتشريع المناسب للأمة على اختلاف طبقاتها؛ إذ لا يحيط بذلك إلا الله وحده؛ كان من حكمة الله ورحمته أن أرسل

(١) لسان العرب (١٦٢/١) مادة: نبأ.

(٢) النبوات لابن تيمية (ص: ١٨٤).

الرسُلُ وأنزَلَ الكتبَ لإصلاحِ الخلقِ وإقامةِ الحجةِ عليهم، قال تعالى: ﴿N X WV UTS R QP O﴾ [النساء: ١٦٥].

فالرسُلُ يدعون الناسَ إلى ما ينفعُهم في الدنيا والآخرة من عبادةِ الله وحدَه لا شريكَ له، وطاعته في أمره ونهيه، ويبينون للناس ما يضرُّهم في الدنيا والآخرة من الشرك به تعالى وسائر ما نهى الله عنه.

ففي إرسالِ الرسلِ إقامةُ الحجةِ على الخلقِ حتى لا يحتجَّ أحدٌ على الله فيقول: ما جاءني من رسولٍ كما قال تعالى: ﴿Z YX \ []﴾ [القصص: ٤٧].

الإيمانُ بالرسلِ يتضمنُ أموراً:

* الأول: الإيمانُ بجميعِ الرسلِ إجمالاً، وأنهم رسلُ الله حقاً فمن كَفَرَ برسالةٍ واحدٍ منهم؛ فقد كَفَرَ بجميعِ كما قال الله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

فجعلهم الله مكذِبين لجميعِ الرسلِ، مع أنه لم يكن رسولٌ غيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً، لاسيما وأنه قد بشرهم بمحمدٍ ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسولٌ إليهم يُنقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم.

وقد تتابعت الرسلُ إلى البشرية من نوحٍ إلى محمدٍ، وتتابعَت البشرية على تكذيبِ رسلِ الله إلا من شاء الله منهم، فحلت بالمكذِبين العقوباتُ، قال تعالى: ﴿9 8 7 6 5 43 2 10 / . ; + *)﴾

; = < > ﴿[المؤمنون: ٤٤]﴾، وقد فصل الله ذلك في قصص الأنبياء.

ومما يجب اعتقاده في أنبياء الله ورسله أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله، ومعصومون من كبائر الذنوب ومن كل ما يندس أخلاقهم، وينفّر عن دعوتهم، قال تعالى: ﴿+ , - . / 0 1 2 3 4﴾ [النجم: ٣-٤] ونقل الإجماع على عصمتهم في التحمل والتبليغ جمع من أهل العلم منهم ابن تيمية^(١).

* الثاني: الإيمان بمن علمنا منهم تفصيلاً وبما صحّ من أخبارهم ممن ساهم الله في القرآن وهم خمسة وعشرون نبياً.

فأول النبيين آدم، وأول الرسل نوح، وخاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ، وهم متفاضلون قال تعالى: ﴿' & % \$ # "﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأفضلهم أولو العزم من الرسل وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، قال تعالى: ﴿! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2﴾ [الأحزاب: ٧].

وأفضلهم على الإطلاق نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين، وسيد المرسلين وقد ثبت عنه قوله: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) وله من الفضائل والخصائص ما ليس لسائر النبيين من ذلك قوله ﷺ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»^(٣).

ولا ينافي هذا ما جاء في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ من النهي

(١) انظر: مجموع الفتوى (٤/٣١٩، ١٠/٢٩١، ٢٠/٨٩)، كتاب الاستغاثة (ص: ٦٢٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ، رقم (٢٢٧٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب منه، رقم (٥٢٣).

عن التفضيل بين الأنبياء مثل قوله ﷺ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَائِ اللَّهِ»^(١)؛ فإنّ هذا النهي محمولٌ على ما إذا كان التفضيل على وجه الحمية والعصبية أو على وجه التنقص للمفضول.

* الثالث: الإيمان إجمالاً وتفصيلاً بما جاء به نبينا محمد ﷺ من الكتاب والحكمة، وما أُرسل به من الهدى ودين الحق، وأنه رسول الله إلى جميع الناس، وأنه خاتم النبيين فلا نبي بعده، فهو حجة الله على عباده إلى يوم القيامة، وأنه لا طريق إلى الله وإلى جنته إلا باتباعه ﷺ فلم يبق رسولٌ يجبُ اتباعه سوى محمد ﷺ ولو كان أحدٌ من أنبياء الله حياً لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، ولهذا إذا نزل المسيح ابن مريم في آخر الزمان حكّم بشريعة محمد ﷺ، فلا يسعُ أحداً الخروج عن شريعة الإسلام لا اليهود ولا النصارى ولا غيرهم.

وقال تعالى: ﴿y x w v u t s r﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿32 1 0/.﴾ [الأنعام: ١٩].

* الرابع: الإيمان بمعجزات الرسل وبيناتهم: لقد أرسل الله الرسل بالبينات وهي الآيات والبراهين الدالة على صدقهم، فما من نبيٍّ إلا وقد جاء بما يدلُّ على أنه رسولٌ من عند الله مما يقتضي الإيمان به كما في الحديث: «مَا مِنْ أَنْبِيَاءٍ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وبينات الأنبياء أنواع، ومنها الخوارق التي يُجرىها الله على أيديهم وهو ما

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿y x w v u t s r﴾ [الأعراف: ١٥٨] إلى قوله: ﴿n m﴾، رقم (٣٢٣٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي رقم (٤٦٩٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٢).

يسمى عند أهل الكلام بـ«المعجزات» ولا تتوقف النبوة على هذا النوع خلافاً للمعتزلة الذين يقولون: إِنَّ النبوة لا تثبت إلا بالمعجزة، ومن هذه المعجزات ما أجراه الله على يد موسى من جعل عصاه ثعباناً مبيّناً، ثم ابتلاعها حبال سحرة فرعون وعصيهم. وكذلك إدخال يده في جيبه ثم إخراجها وهي بيضاء من غير سوء، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿I H G F E D C B A M L K J﴾ [الأعراف: ١٠٧-١٠٨]، ومنها الناقة التي أخرجها الله تصديقاً لنبيه صالح قال الله تعالى في شأن قصة صالح عليه السلام مع قومه: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَإِذَا حُذِّمَتْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوها فَاصْبِرْ صَبْرًا شَدِيدًا ﴿١٥٧﴾ فَآخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٥٩].

ولنبينا من الدلائل على نبوته ما لا يُحصى من الخوارق مثل انشقاق القمر وتكثير الطعام والشراب والإخبار بالمغيبات وغيرها، وأعظم ذلك القرآن.

ودلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ من ثلاثة أوجه:

١ - أنه أُمِّيٌّ لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، ومع ذلك جاء بهذا القرآن العظيم المشتمل على الشرائع القويمة، والأنباء العظيمة كما قال تعالى: ﴿W V U T a [Z Y X﴾ [العنكبوت: ٤٨].

٢ - ما اشتمل عليه من قصص الأنبياء مما هو من علم الغيب كما قال تعالى بعد قصة نوح: ﴿s r q p o n m l j i h g f e z y x w v u t﴾ [هود: ٤٩].

٣ - إعجاز القرآن للبشرية - بل للثقلين - أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله،

أو سورة من مثله، أو آية من مثله، ولهذا تحذاهم الله بذلك فقال: ﴿ -
 / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < .
 = > ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ ! " % \$ # ' () * + , - . / 0 1 2 3 ﴾ [هود: ١٣]، وقال:
 ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ سَائِلِينَ لَتَجِدَنَّ أَمْثَلًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

وللإيمان برسول الله وأنبيائه ثمار وأثار عظيمة، منها:

- ١ - الأنبياء والرسل قدوة حية للمبادئ والقيم التي يدعون إليها، فالمؤمن بهم ينبغي أن يتخذهم المثل الأعلى في الحياة، وأن يحتذي سيرهم. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].
- ٢ - اليقين بحسن عاقبة المتقين المطيعين لله والصابرين، كما تبين ذلك من قصصهم مع أقوامهم وانتصارهم على أعدائهم.
- ٣ - توفير أنبياء الله ورسوله وتعظيمهم، ومحبتهم والثناء عليهم بما يستحقونه.

* * *

الركن الخامس:

الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعثُ اللهُ الناس فيه للحساب والجزاء، وُسِّمَ بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، حيث يستقرُّ أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم.

وله أسماء كثيرة منها: يوم الفصل، ويوم التلاق، يوم البعث، ويوم الحساب، ويوم الآزفة، وغير ذلك قال تعالى: ﴿ 5 43 21 6 7 8 : < = > ? @ ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ { zy | { zy xwv } ﴾ [ص: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ { zy xwv } ﴾ [الروم: ٥٦].

الإيمان باليوم الآخر يتضمن أموراً:

§ الأول: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه:

(أ) فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه، فيثبتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي اللهُ، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، ويضلُّ اللهُ الظالمين فيقول الكافر: هاهاه لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته.

(ب) عذاب القبر ونعيمه: فأما عذاب القبر: فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين وبعض العصاة، قال اللهُ تعالى في -آل فرعون-: ﴿ p o n ﴾ [غافر: ٤٦].

وفي حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»
قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^(١).

وأما نعيمُ القبرِ فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿! " # \$ %
& ' () * + , - . / 0 1 2 3﴾ [فصلت: ٣٠].

ولهذه الأدلة ذهب أهل السنة والجماعة إلى الإيمان بفتنة القبر وعذاب القبر
ونعيمه مفوضين علم حقيقة ذلك إلى الله، فإنَّ الإيمان بأحوال القبور هو من الإيمان
بالغيب الذي هو مناط التكليف وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب، ولهذا أثنى
اللهُ به على المتقين فقال: ﴿! * + , - . /﴾ [البقرة: ٢-٣].

وقد أنكر قومٌ من المتكلمين والزنادقة عذاب القبر ونعيمه واحتجوا بأنَّه لو
كُشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق.

وهذه الحجة باطلة فإنها مبنية على الاحتجاج بالحس في معارضة نصوص
الغيب التي يجب التسليم لها، وحواشينا لا تدرك ما حولنا إلَّا ما قُدِّرَ لها، فنحن
نؤمن بأنَّ الملائكة الموكلين بحفظ العباد وكتابة أعمالهم معنا، ولا ندركهم بشيء
من حواسنا.

§ الثاني: الإيمان بالبعث:

وهو إحياء الموتى حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لربِّ
العالمين، حفاةً غير متعلين، عراةً غير مستترين، غرلاً غير مختنئين، قال الله تعالى:
﴿? @ A B C D E F H I J﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار
عليه، رقم (٦٨٦٧).

والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين. قال الله تعالى:
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾
وقال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءً غُرْلًا»^(١).

وأجمع المسلمون على ثبوته.

وقد أنكر الكافرون المكذبون للرسول البعث مستبعدين أن يعيدهم الله خلقاً
جديداً بعد أن كانوا تراباً وعظاماً، وقد حكى الله ذلك عنهم في مواضع كثيرة من
القرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَوْا قُلُوبُ وَرَبِّي﴾ ﴿ثُمَّ لَنُنَبِّئَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، ورد عليهم بما يعلمون ويشاهدون من خلق السموات
والأرض، وخلق الإنسان، وإحياء الأرض بعد موتها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ
لَمْ تُخَفُوا لَبِئْسَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥-١٦]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَارٍ سَافِرَةٍ﴾ [التين: ١٢-١٣]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّهُ لَكَنَّا الْعَلَقَةَ﴾ [الفجر: ٢٠-٢١]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ لَدُنْهِ﴾ [الشمس: ٢١-٢٢]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ عِطْفٍ عَلِيٍّ﴾ [الفجر: ٢٢-٢٣]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَارٍ سَافِرَةٍ﴾ [التين: ١٢-١٣]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّهُ لَكَنَّا الْعَلَقَةَ﴾ [الفجر: ٢٠-٢١]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ لَدُنْهِ﴾ [الشمس: ٢١-٢٢]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ عِطْفٍ عَلِيٍّ﴾ [الفجر: ٢٢-٢٣].

§ الثالث: الإيمان بالحساب والجزاء:

يحاسبُ العبدُ على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة،
 وإجماع المسلمين، ويدخل في ذلك الإيمان بالميزان، وبصحف الأعمال فأخذ كتابه
 بيمينه وأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

قال الله تعالى: ﴿تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَنَابًا وَتُهَاوِيهِمْ كَغُبَارٍ يَافُورٍ﴾ [الأنشقاق: ٧-٨]
﴿وَالْجِبَالُ كَصَدْرِ الْوَيْدِ﴾ [الأنشقاق: ٧-٨]، ﴿وَالْجِبَالُ كَصَدْرِ الْوَيْدِ﴾ [الأنشقاق: ٧-٨].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم (٦١٦٢)، ومسلم، كتاب الجنة
 وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم (٢٨٥٩).

[١١]، وقال تعالى: ﴿ : ; < = > ? @ A B D E
 F H G I J K L M N O ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لَيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتْرَجَمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلَيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(١).

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، أرسلهم يدعون الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وفرض على العباد الإيمان بهم وطاعتهم واتباع ما جاءوا به فكان الناس في هذه الدعوة فريقين: فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر والنجاة والفلاح والفوز بمغفرة الله وكرامته، وتوعد الكافرين بالخسران المبين والعذاب الأليم، فلو ترك الله العباد لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يجزيهم على أعمالهم كان خلقهم عبثًا، ولو أمرهم ونهاهم من غير أن يجزيهم على أعمالهم؛ للزم من ذلك التسوية بين المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار. قال تعالى: ﴿ ~ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ عِبَادًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿ ! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، رقم (١٣٤٧)، و مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم (١٠١٦).

ومما يؤمن به أهل السنة والجماعة مما يكون في موقف يوم القيامة الحوض
لنبينا ﷺ، قال ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ
الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ^(١) كَنْجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(٢).

كما يؤمن أهل السنة والجماعة بالشفاعة العظمى لنبينا ﷺ لأهل الموقف
ليَقْضَى بينهم^(٣)، وينتهي ذلك اليوم بالعبور على الصراط وهو جسر على متن
جهنم وهو أحد من السيف وأدق من الشعر، ويسير الناس فيه حسب أعمالهم كما
جاء في الأحاديث عن النبي ﷺ^(٤).

§ الرابع: الإيمان بالجنة والنار:

وأنهما موجودتان الآن، لا تفنيان أبداً ولا تبدان؛ فأما الدليل على وجودهما
فقوله تعالى في الجنة: ﴿ + ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله في النار: ﴿ أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، وسائر أدلة عذاب القبر ونعيمه تدل على وجود الجنة والنار.

وأما الدليل على دوامهما فمثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ﴾ ۝ ١١ ۝
زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿ ١٠٦ ﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ
لِّمَا يُرِيدُ ﴿ ١٠٧ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا
شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ ﴿ ١٠٨ ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨]، وقوله: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ في الموضعين

(١) كيزانه: جمع كوز، ويجمع على أكواز وكيزان، وهو: ما اتسع رأسه من أواني الشراب إذا كانت بعري.
مشارك الأنوار (٣٤٩/١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم (٦٢٠٨)، ومسلم، كتاب الفضائل،
باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم (٢٢٩٢).

(٣) انظر: البخاري، كتاب التفسير، باب عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، رقم (٤٤٤١)، ومسلم، كتاب
الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم (١١٨٤).

(٤) انظر: البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط متن جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب
أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٨٨).

فمعه أن خلود أهل النار فيها، وخلود أهل الجنة فيها وبقاؤهما فبمشيئة الله سبحانه وتعالى فهما باقيتان بإبقاء الله لهما.

وأنهما المصير الأبدي للمكلفين، فالجنة: دار النعيم التي أعدّها الله للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بالله ورسوله، وأطاعوا الله ورسوله، مخلصين العبادة لله متبعين لرسوله ﷺ، فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَكْرَمُ أَلْفِ عَالَمٍ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وأما النار: فهي دار العذاب التي أعدّها الله تعالى للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها أنواع العذاب والنكال -نعوذ بالله من النار-.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي النَّارِ أَصْوَافٌ مُّوَسَّسَةٌ﴾ [البقرة: ٢٤].

وللإيمان باليوم الآخر ثمار وأثار مباركة كثيرة، منها:

١ - معرفة حقيقة الحياة الدنيا وأنها متاع الغرور، وأنها جسرٌ للآخرة التي فيها الحياة الحقيقية؛ قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدُّنْيَا بَاطِلٌ﴾ [الزمر: ٢١].

٢ - الاجتهاد في كثرة العمل الصالح والاستزادة منه رجاء ثقله في الموازين يوم القيامة.

٣ - زيادة الاشتياق لدخول الجنة ورؤية وجه الله سبحانه تعالى.

- ٤ - كثرة ذكر الموت، والاستعداد للوقوف بين يدي الله عز وجل.
- ٥ - الحذر من المعاصي والمخالفات والبدع والظلم، وملازمة التوبة النصوح من الخطيئات حذراً من عقوبتها في الآخرة.
- ٦ - تسليّة المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومحابّها ومتاعها بما يرجوه عند الله من عظيم نعيم الآخرة.
- ٧ - الأخذ بأسباب حُسن الخاتمة.

* * *

الركن السادس:

الإيمان بالقدر

تعريف القدر لغة وشرعاً:

الْقَدْرُ لغةً: مصدرٌ قَدَرَ يَقْدِرُ قَدْرًا - وقد تسكن داله -، ويطلق تارةً على التقدير، وتارةً على المقدّر^(١)، فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ومن الثاني قوله ﷺ: «قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»^(٢).

وشرعاً: تقديرُ الله للكائناتِ في علمه وكتابته تقديرًا مفصلاً يشملُ مواقيتها وصفاتها وأعدادها وأنواعها وآجالها ونهايتها، وما شاء سبحانه وتعالى.

والقضاء لغةً: مصدرٌ قضى يقضي قضاءً، وهو في اللغة يطلقُ على معانٍ منها: الفراغُ من الفعلِ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ إِذَا ذُكِرَ الْحُكْمُ﴾ [النساء: ١٠٣]، ومنها الحكمُ ومنه قوله ﷺ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ»^(٣).

وهو كالتقديرِ تارةً يطلقُ على المقضي، وتارةً على القضاء بالمعنى المصدرى وهو الحُكْمُ، فمن الأوّل قولك فيما يحدث: هذا قضاءٌ أي مقضي، ومن الثاني قولهم: يجب الرضا بالقضاء أي بحكمه سبحانه وتعالى^(٤).

(١) النهاية (٢٢/٤)، القاموس المحيط (ص: ٥٩١)، مادة: قدر.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة، رقم (٢٦٦٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿فَإِذَا قُضِيَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ إِذَا ذُكِرَ الْحُكْمُ﴾، رقم (٤٤٢٤).

(٤) ولا فرق بين القَدْر والقضاء عند بعض العلماء، وقرّ آخرون بينهما فقالوا: القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقَدْر هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق، وقيل: إذا اجتمعا افترقا بحيث يصبح لكل واحد منهما مدلول غير الآخر - كما في الفرق السابق -، وإذا افترقا اجتمعا، بحيث إذا أفرّد أحدهما دخل فيه الآخر.

والصواب عدم التفريق بينهما؛ لأنه لا يوجد دليلٌ واضحٌ من الكتاب والسنة يدل على التفريق. انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه تأليف: د. عبدالرحمن المحمود (ص: ٣٠-٣٣).

والقضاء من الله نوعان: كونيٌّ وشرعيٌّ، فالكونيُّ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، والشرعيُّ كقوله تعالى: ﴿إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَطَعُوا يَتْرَاقِبُوا﴾ [الإسراء: ٢٣].

الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور - وهي مراتب القدر - :

§ الأول: الإيمان بعلم الله القديم:

وهو الإيمان بأنَّ الله تعالى عَلِمَ بكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، بما في ذلك أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم، قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَالنُّجْوَىٰ﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ الْغُيُوبَ﴾ [الحشر: ٢٢].

§ الثاني: الإيمان بالكتاب الأوَّل:

وهو الإيمان بأنَّ الله كَتَبَ ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ - وهو أمُّ الكتاب -، قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ الْغُيُوبَ﴾ [الحج: ٢٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله يقول: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(١).

§ الثالث: الإيمان بعموم المشيئة:

وهي الإيمان بأنَّ جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء أكانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله:

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٣).

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الفصل: ٦٨]. وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْلَحَ الْكَاْفِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

§ الرابع: الخلق:

وهو الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الفرقان: ٢].

ويجب مع الإيمان بالقدر المتضمن للمراتب الأربع الإيمان بحكمته - سبحانه وتعالى - في أقداره وهو أن كل ما قدره تعالى فهو لحكمة يعلمها، وفعله - سبحانه وتعالى - كله حسنٌ وخيرٌ وحكمةٌ قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِي الْأَرْضِ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر: ٥].

ويجب أن يُعلم أنه لا يستقيم الإيمان بالقدر إلا مع الإيمان بالشرع وهو الأمر والنهي الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وأن كل ما أمر به؛ فهو طاعةٌ محبوبٌ مرضيٌّ له تعالى، وكل ما نهى عنه فهو معصيةٌ ومبغوضٌ له تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وهذا المعنى في القرآن كثير.

وكل ما تقدم هو مذهب أهل السنة والجماعة في القدر.

وقد ضلَّ في القدر طائفتان:

* إحداهما: الجبرية الذين قالوا: إن العبد مجبرٌ على عمله، وليس له فيه إرادةٌ ولا قدرةٌ.

* الثانية: القدرية الذين قالوا: إن العبد مستقلٌ بعمله في الإرادة والقدرة،

وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والردُّ على الطائفة الأولى الجبرية بالشرع والواقع:

أما الشرعُ: فإنَّ الله تعالى أثبتَّ للعبدِ إرادة، ومشِيئة، وأضاف العمل إليه
قال الله تعالى: ﴿i h g f e d c b﴾ [١٥٢].
عمران: ١٥٢.

وقال تعالى: ﴿O N L K J I H G F E D C B T S R Q P﴾ [الكهف: ٢٩].

وأما الواقع: فإنَّ كلَّ إنسانٍ يعلمُ الفرقَ بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته؛ كالأكل، والشرب، والبيع، والشراء، وبين ما يقعُ عليه بغيرِ إرادته؛ كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعلٌ مختارٌ بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غيرٌ مختارٍ ولا مريدٍ لما وقع عليه.

والردُّ على الطائفة الثانية القدرية بالشرع والعقل:

أما الشرعُ: فإنَّ الله تعالى خالقُ كلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ كائنٌ بمشيئته، وقد بيَّن الله تعالى في كتابه أنَّ أفعالَ العبادِ تقعُ بمشيئته فقال تعالى: ﴿5 4 3 2 A @ ? > = < ; : 9 8 7 6﴾ [السجدة: ١٣].

وأما العقلُ: فإنَّ الكونَ كلُّه مملوكٌ لله تعالى والإنسانُ من هذا الكونِ فهو مملوكٌ لله تعالى ولا يمكنُ للمملوكِ أن يتصرفَ في ملكِ المالكِ إلا بإذنه ومشيئته.

حكمُ الاحتجاجِ بالقدرِ على تركِ الواجباتِ أو فعلِ المعاصي:

الإيمانُ بالقدرِ على الوجه المتقدم لا يصحُّ أن يكونَ حُجَّةً على تركِ الواجباتِ

أو فعل المعاصي، ومن احتجَّ بالقدر على هذا - كما هي طريقة غلاة الجبرية وسلفهم المشركين الذين قال الله عنهم: ﴿! " \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5﴾ [النحل: ٣٥] - فاحتجَّاهُ باطلٌ شرعاً وعقلاً.

فأما الشرعُ فقولُه تعالى: ﴿7 6 5 4 3 2 1 0 / H G F E D C B A @ ? > < ; : 9 8 V U T S R Q P O M L K J I﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ولو كان لهم حجةٌ بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

وقوله تعالى: ﴿W V U T S R Q P O N [\ [Z X﴾ [النساء: ١٦٥]، ولو كان القدرُ حجةً للمخالفين لم تنتفِ بإرسالِ الرسل، لأنَّ المخالفةَ بعد إرسالهم واقعةٌ بقدر الله تعالى.

وأما عقلاً: فإنَّ المحتجَّ بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخصٌ فأخذ ماله أو انتهك حرمة ثم احتجَّ بالقدر، وقال: لا تلمني فإنَّ اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!!

وأيضاً لو كان القدرُ عذراً لكان إرسالُ الرسل بالشرائع عبثاً تعالى الله عن ذلك، ولأمكن كلُّ ظالمٍ ومفسدٍ في الأرض أن يحتجَّ بالقدر، ومحالٌ أن تستقيم الحياة على هذا التقدير، ولهذا من يحتجُّ بالقدر على ترك الواجبات وفعل المحرمات لا يمكن أن يقبل الاحتجاج بالقدر من غيره كما تقدم.

وأما الاحتجاجُ بالقدر على المصائب فيجوز؛ لأنها ليست من فعل المكلف،

وإن كان سببها قد يكون من فعله كخروج آدم من الجنة، بل يجب عند المصائب النظر إلى القدر لأن ذلك يعين على الصبر كما جاء في الحديث: «أخْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعْنَى بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

وكذلك يجوز الاحتجاج بالقدر على الذنوب بعد التوبة منها؛ لأن الأثر المترتب على ذلك قد زال بالتوبة فانمحي به توجه اللوم على المخالفة، فلم يبق إلا محض القدر، وهذا أحد الجوابين لأهل السنة على حديث احتجاج آدم على موسى بالقدر كما في الحديث: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَكَلَامِهِ ثُمَّ تَلَوْنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرٍ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»^(٢).

قال ابن القيم: «الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع: فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع لأنه لا يدفع بالقدر أمراً ولا نهياً ولا يبطل به شريعة بل يُخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة»^(٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم (٢٦٦٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، رقم (٧٠٧٧)، ومسلم، كتاب القدر، باب حجج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٢).

(٣) شفاء العليل (ص: ٣٢).

وللإيمان بالقدر آثارٌ وثمارٌ عظيمةٌ، منها^(١):

- ١ - الاعتمادُ على الله تعالى وحده؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ بقدرِ الله.
- ٢ - أنَّ الإيمانَ بالقدرِ يعصمُ الإنسانَ - بإذنِ الله - من البطرِ والطغيانِ إذا أصابه الخيرُ، ومن الحزنِ والأسى إذا أصابه الشرُّ؛ لأنَّ ما حدث قد جرت به المقاديرُ وسبق به علمُ الله.
- ٣ - ألاَّ يُعجبَ المرءُ بنفسه عند حصولِ مراده؛ لأنَّ حصولَ ذلك المرادِ نعمةٌ من الله الذي قدَّر حصولها، وإعجابُ المرءِ بنفسه ينسيه شكرَ هذه النعمة.
- ٤ - القوةُ والثباتُ في الحقِّ؛ لأنَّ الأرزاقَ والآجالَ مقدَّرةٌ، ولا يملك أحدٌ سوى الله تغييرَها بالنقصِ أو الزيادة.
- ٥ - الإيمانُ بالقدرِ يغرسُ القناعةَ في نفسِ المؤمن.
- ٦ - أنَّ الإيمانَ بالقدرِ يقضي على كثيرٍ من الأمراضِ التي تعصفُ بالمجتمعاتِ، وتزرعُ الأحقادَ بين الناسِ، وذلك مثلُ رذيلةِ الحسدِ؛ فالمؤمنُ لا يحسدُ الناسَ على ما آتاهم الله من فضله؛ لأنه يدركُ أنَّ اللهَ هو الذي رزقَهم وقدَّر لهم ذلك، وهو يعلمُ أنه عندما يحسدُ غيره فإنه يعترضُ على ما قدَّره الله تعالى.
- ٧ - الصبرُ على المصائبِ، قال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٢).

* * *

(١) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٤٤٧-٤٥٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٩٩٩).

نواقض الإيمان

معنى النواقض:

في اللغة: النقض في البناء والحبل والعهد وغيره، ضد الإبرام، أي هو: الحلُّ، والإزالة والإبطال^(١). ومنه قوله تعالى: ﴿b c d e f g h i j k﴾ الآية [النحل: ٩١].

وفي الاصطلاح: عُرِّفَتْ بأنها: «اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال تزيلُ الإيمانَ وتقطعه»^(٢). وسُميت نواقض؛ لأنَّ الإنسان إذا فعلَ واحداً منها؛ انتقضَ إسلامه ودينه، وانتقل من كونه مسلماً إلى كونه كافراً.

ويدخلُ في هذه النواقض ما يخرجُ من الملة كالشركِ الأكبر، والكفرِ الأكبر، والنفاقِ الأكبر.

أما ما دون ذلك مما يدخلُ في الشركِ الأصغر؛ كيسيرِ الرياء، أو الكفرِ الأصغر؛ كالحلفِ بغيرِ الله، أو النفاقِ الأصغر؛ كمن عادته الكذب في الحديث أو خيانة الأمانة، أو الغدر، فلا يخرجُ من الملة ولا ينقلُ عن الإسلام؛ بل ينقصُ الإيمانُ ويستحقُّ العقوبةَ إلا أن يتوبَ صاحبه غيرَ أنه لا يخلدُ في النار، كما يحبطُ العمل الذي يقترن به ولا يحبط جميع الأعمال.

* * *

(١) انظر: القاموس المحيط مادة: نقض، والمفردات (ص: ٨٢١).

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية (ص: ٤٩).

نواقض الإيمان^(١):

نواقض الإيمان كثيرة في تفصيلاتها، لكنها تجتمع في ثلاثة أنواع، هي:
أولاً - النواقض الاعتقادية.

ثانياً - النواقض القولية.

ثالثاً - النواقض العملية.

أولاً: نواقض الإيمان الاعتقادية:

١ - الشرك بالله تعالى (من الناحية العقدية) أي: الشرك الاعتقادي:

~ باعتقاد أن ما سوى الله يستحق أن يُدعى أو يذبح له.

~ باعتقاد أن ما سوى الله له تصرف معين في الكون.

~ باعتقاد أن أحداً سوى الله له اطلاع على الغيب؛ كالكهنة وغيرهم. قال

تعالى: ﴿Z Y X W V U T \ [] ^ _ a b c

h g f e d﴾ [النساء: ١١٦].

٢ - الجحود والتكذيب بشيء من الفرائض والواجبات:

قال الإمام ابن بطّة: «كُلُّ من ترك شيئاً من الفرائض التي فرضها الله في كتابه أو أكدها رسول الله ﷺ في سنته، على سبيل الجحود والتكذيب بها؛ فهو

(١) هذه النواقض تذكر في باب الردّة من كتب الفقه، وقد ركّزت هنا على أهمها. وقد استفدت في الحديث عنها من كتابي: (نواقض الإيمان الاعتقادية) للدكتور محمد الوهيبي و(نواقض الإيمان القولية والعملية). للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف والكتابان في الأصل رسالتا دكتوراه.

كافرٌ بين الكفر»^(١).

٣ - استحلالُ أمرٍ معلومٍ من الدين بالضرورة تحريمه:

قال الإمام ابن قدامة: «من اعتقد حلَّ شيءٍ أُجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه كلحم الخنزير، والزنا، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه، كفر»^(٢).

٤ - الشكُّ في حكمٍ من أحكامِ الله عز وجل أو في خبرٍ من أخباره:

كمن يشك في صدق النبي ﷺ وفي بعض أخباره الثابتة عنه، أو في حكم شرعي ثابت كحرمة الربا.

٥ - من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحَّح مذهبهم:

لقد بعث الله النبي ﷺ بالإسلام، وجعله ناسخاً لما قبله من الأديان، وأخبر أنه لا يقبل من أحد ديناً سواه، فكلُّ من دانَ بغير دين الإسلام؛ فهو كافر. قال تعالى: ﴿لَٰكِن كُفِرَ بِلَٰهِ الْغَافِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ﴾ [آل عمران: ٨٥].

٦ - اعتقاد أنَّ بعض الناس لا يجبُ عليه اتباعُ النبي ﷺ، وأنه يسعه الخروجُ

عن شريعته: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال النبي ﷺ: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(٣).

(١) الإبانة (٢/٧٦٤).

(٢) المغني (٨/١٣١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب وقول الله: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾، رقم (٣٣٥).

٧- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:

فالإيمان لما كان خضوعاً واستجابةً وقبولاً لدين الله، عُدَّ الإعراض الكليُّ عن هذه الأمور ناقضاً للإيمان ومفسداً له. وهذا الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به هو تَوَلَّى عن طاعة الرسول ﷺ، وامتناع عن اتباعه، وصدودٌ عن قبول الشريعة بالكلية؛ قال تعالى: ﴿ ۝ ۸ ۷ ۶ ﴾ [السجدة: ٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد تبيَّن أنَّ الدينَ لا بدَّ فيه من قولٍ وعملٍ، وأنه يمتنع أن يكون الرجلُ مؤمناً بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤدِّ واجباً ظاهراً، ولا صلاةً، ولا زكاةً، ولا صياماً، ولا غيرَ ذلك من الواجبات»^(١). وقال ابن القيم: «كفرُ الإعراض: أن يُعرضَ بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدِّقه ولا يكذِّبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة»^(٢).

٨- النفاق الاعتقادي (وهو النفاق الأكبر):

وهو: أن يظهرَ للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخٌ من ذلك كله مكذب به. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ۚ تَحْدِلُ هُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهو أنواع أهمها:

١ - تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به.

٢ - بغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به.

(١) مجموع الفتاوى (٦٢١/٧).

(٢) مدارج السالكين (٣٣٨/١).

٣- المسرّة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

٩- الإباء والاستكبار:

وهو كفرٌ من عرفَ صدقَ الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقذ له إباءً واستكباراً، وهو الغالبُ على كفرِ أعداءِ الرسول. وكفرُ إبليس من هذا النوع، قال الله تعالى: ﴿...﴾ { | } ~ وَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿...﴾ [البقرة: ٣٤].

ثانياً: نواقض الإيمان القولية:

١- سبَّ الله تعالى، أو رسله، أو كتبه، أو دينه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من اعتقدَ الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى، والرسالة لعبدِهِ ورسولِهِ، ثم لم يُتبع هذا الاعتقادَ موجبهُ من الإجلال والإكرام، الذي هو حالٌ في القلبِ يظهر أثرُهُ على الجوارح، بل قارنه الاستخفافُ والتسفيه والازدراء بالقول، أو بالفعل، كان وجودُ ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح»^(١).

٢- الاستهزاء بالله، أو دينه، أو رسله، أو كتبه: فكلُّ ذلك داخلٌ في قوله

تعالى: ﴿...﴾ S T U V W X Y [\]
^ _ ` ba dc e f g ﴿...﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

٣- إنكار معلوم من الدين بالضرورة، مثل:

إنكارُ الكتبِ المنزلة على الأنبياء، أو إنكارُ الملائكة، أو إنكارُ الجن، أو إنكارُ البعث، أو إنكارُ الوعد والوعيد.

(١) الصارم المسلول (٣/٧٠٠).

٤ - ادعاء النبوة: قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»^(١).

٥ - ادعاء علم الغيب؛ كالتنجيم والكهانة والعرافة:

كمن يجعل تعلم علم النجوم «سبباً يدّعي به علم الغيب، فيستدلّ بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأنّ النجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاء؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه وُلد في النجم الفلاني.

فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلةً لادعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفرٌ مخرجٌ عن الملة، قال تعالى: ﴿٩ ٨ ٧﴾ : < = > ? @ B C E D ﴿[النمل: ٦٥]، وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادعى أحدٌ علم الغيب فقد كذّب بالقرآن»^(٢).

فمن سأل المنجم أو الكاهن وصدّقه كفر بالله تعالى؛ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(٣). وإن لم يصدقه فكما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٤).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٣)، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم (١٥٧).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٥/٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤٢٩/٢)، والحاكم (٨/١) وصححه على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة برقم (٢٢٣٠).

ثالثاً: نواقض الإيمان العملية:

١ - الشرك في عبادة الله عز وجل (أي الشرك بالعمل):

بأن يتقدم لغير الله بأنواع العبادات التي هي حق الله وحده؛ كالركوع، والسجود، والنذر، والذبح.

٢ - السحر: هو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الشرع عقد ورقى، أو قراءات وطلاسم يُتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور.

وهو شركٌ يكفر فاعله؛ لأن فيه استعانةً بالشياطين بطاعتهم والتقرب إليهم بفعل الكفر، وذلك لتسليطهم على المسحور. قال الله تعالى: ﴿! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ? @ A B C D﴾ [البقرة: ١٠٢]^(١).

٣ - الاستهانة بالمصحف، وتلوينه بالنجاسات أو دوسه بالأقدام.

٤ - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9﴾ [المائدة: ٥١].

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٤٨٩-٤٩٠)، ونواقض الإيمان القولية والعملية (ص: ٤٩٩-٥٢٣).

حكم تكفير المعين^(١):

الأصلُ فيمن ينتسب للإسلام بقاءً إسلامه حتى يتحقق من خلاف ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز الإقدام على تكفيره؛ لأن في ذلك محذورين:

* أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم بالكفر، وعلى المحكوم عليه برميهِ بالكفر.

* الثاني: عودُ وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئاً منه، فقد قال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ»^(٢).

ولذلك فإنَّ أهل السنة يفرّقون بين التكفير بإطلاقٍ والتكفير بالتعيين، ففي الأول يطلق القول بتكفير من تلبس بالكفر فيقال: من قال كذا، أو فعل كذا؛ فهو كافر.

ولكنَّ الشخصَ المعيّن الذي قاله أو فعله، لا يُحكم بكفره حتى تجتمع فيه الشروط بأن يكون -مثلاً- ما قاله أو فعله كفرًا قد دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة، ولا شبهة فيه.

وتنتفي عنه الموانعُ عن القائل أو الفاعل للكفر بأن لا يكون مكرهاً أو جاهلاً جهلاً يُعذر به، أو متأولاً، أو غير ذلك من الموانع التي نصّ عليها أهل العلم.

وإنَّ عدم الالتزام بمنهج أهل السنة في أحكام التكفير والتفسيق والتبديع مسلّك له آثاره السيئة على العقائد والأعمال والأحكام، وعلى الأوضاع والوقائع.

(١) انظر باب: ضوابط التكفير وموانعه في كتاب نواقض الإيمان الاعتقادية (١/ ١٩٧ - ٣١٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعان، رقم (٥٦٩٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم (٦١).

- فمسألة «تكفير المعين» وفق ما سبق بيانه لما خاض فيها من خاض بعيداً عن الضوابط الشرعية التي بينها علماء الإسلام، ظهر الانحراف ونجمت الفوضى:
- ~ فأطلقت أحكام التكفير جُزافاً، وكُفّر أناسٌ بأعيانهم، وبُني على تلك الأحكام لوازم كاستباحة الدماء والأموال، بالقتل والتدمير والتفجير.
 - ~ وبرز رؤساء جهّال أحداثُ الأسنان، خاضوا في مسائل كبار كالعقائد والدماء والأموال فأهدروها بجرأة دون اعتبار لضوابط وموانع وشروط كتب فيها وتكلم عنها كبار علماء الأمة.
 - ~ كما عطلت في فكر هؤلاء وظائف الحاكم والقاضي المسلم أو من يُنبه في النظر في مثل هذه القضايا، والبت فيها بعلم وعدل، ومنها تبين حال المعيّنين ممن اتهموا بالكفر، وإقامة الحجة العلمية عليهم، وما يستتبع ذلك من إجراءات بنيت على تعظيم شهادة أن لا إله إلا الله، ومن ثم زيادة التحري والتثبت في حال قائلها قبل الحكم عليه، وتعظيم دمه وماله، كما جرت بذلك أحكام القرآن العظيم والسنة النبوية المشرفة.

* * *

أهم المصادر والمراجع

- ١ - الإبانة، عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة، دار الراية، ط ١.
- ٢ - الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين.
- ٣ - الإسلام كبديل، مراد هوفمان، ترجمة مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٤ - أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، من موقع فيض الفوائد من الإنترنت.
- ٥ - أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الناشر الندوة العالمية ط ٢، ١٤٠٨هـ.
- ٦ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، بيروت، عالم الكتب، د.ت.
- ٧ - إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت ط ٢، ١٣٩٥هـ.
- ٨ - الإيمان، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٣٩٩هـ.
- ٩ - بحوث في الثقافة الإسلامية، د. أحمد بن الخطيب وآخرون، الدوحة، دار الحكمة، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ١٠ - بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل، الرياض، دار الوطن،

- ط ١، ١٤٢١هـ.
- ١١ - بيان أركان الإيمان، عبد الله القصير، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ١٢ - تفسير القرآن العظيم، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ١٣ - الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً، أعدها مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مطابع الجامعة، ط ١/ ١٤١٧هـ.
- ١٤ - الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة د. إيمان عبد المؤمن سعد الدين، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ١٥ - الثقافة الإسلامية وتحديات العصر د. شوكت محمد عليان، الرياض، دار الرشيد، ط ١، ١٤٠١هـ.
- ١٦ - الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر، سارة بنت عبد المحسن آل سعود، الناشر المؤلف، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ١٧ - الثقافة الإسلامية، ثقافة المسلم وتحديات العصر، د. محمد أبو يحيى وآخرون، عمان، دار المناهج، ط ٣، ١٤٢٢هـ.
- ١٨ - الثقافة الإسلامية، مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها، د. عزمي طه السيد وآخرون، عمان، دار المناهج، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- ١٩ - الثقافة والعالم الآخر، د. عبد الله الطريقي، الرياض، دار الوطن، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ٢٠ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٤م.

- ٢١ - جامع بيان العلم، لابن عبد البر، دار ابن الجوزي، السعودية، الرياض، ط ١.
- ٢٢ - الحضارة، حسين مؤنس، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٨ م.
- ٢٣ - الحوار مع أهل الكتاب، د. خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- ٢٤ - حوار مع نصراني، د. خالد بن عبد الله القاسم، دار الوطن.
- ٢٥ - خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر سليمان الأشقر، عمان، دار النفائس، الكويت، مكتبة الفلاح، ط ٣، ١٤١٢ هـ.
- ٢٦ - الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤ هـ. د. محمد بن عبد الله السلومي كتاب البيان، الرياض، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
- ٢٧ - دراسات في الثقافة الإسلامية، د. عمر سليمان الأشقر وآخرون، الكويت، مكتبة الفلاح، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
- ٢٨ - روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، موفق الدين بن قدامة المقدسي، تحقيق محمد حامد عثمان، الرياض، دار الزاحم، ط ١، ١٤٢٥ هـ.
- ٢٩ - سنن أبي داود، تصنيف أبي داود سليمان السجستاني، بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠ هـ.
- ٣٠ - السنن الإلهية الكونية والاجتماعية، د. محمد عمار دار السلام للنشر الرياض ٢٠٠١ هـ.
- ٣١ - سنن الترمذي، تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠ هـ.
- ٣٢ - سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن، د. بكار محمد الحاج ١٤٣٣ هـ، دار أنوار

الطبعة الأولى.

- ٣٣- سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعارفي، تعليق عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.
- ٣٤- شبهاث التغريب، أنور الجندي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ.
- ٣٥- شرح أصول الإيمان، محمد بن عثيمين، الرياض، دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٣٦- شعب الإيمان، للبيهقي، تعليق محمد زغلول، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ.
- ٣٧- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الرياض، دارالسلام، ط٢، ١٩٩١م.
- ٣٨- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، ترقيم محمد بن نزار تميم، وهيثم ابن نزار تميم، دار الأرقم، مصر، ط١، ١٩٩٩م.
- ٣٩- صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الشيبني، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٤٠- العالم الإسلامي في مواجهة التحديثات الغربية، د. وهبة الزجيلي دار الفكر ٢٠١٠.
- ٤١- العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، القاهرة، منشورات دار الهلال، ٢٠٠١م.
- ٤٢- عبادة الشيطان، المخاطر وسبل المواجهة، أسعد السحمراني، عمان، دار النفائس، ٢٠٠٣م.
- ٤٣- العرب والتاريخ، برنارد لويس، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٥٤م.

- ٤٤ - العرش لابن أبي شيبه، تحقيق أبو عبد الله بن حمد الحمود، الكويت، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ٤٥ - عقيدة التوحيد، الشيخ صالح الفوزان الرياض، دار العاصمة الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٤٦ - عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، صالح البليهي، الرياض، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
- ٤٧ - العقيدة والمذاهب المعاصرة، عبد العزيز ندا، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ٤٨ - علوم الحديث لابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، بيروت، المكتبة العلمية، طبعة ١٤٠١هـ.
- ٤٩ - العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٥٠ - العولمة والهوية المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون ٤-٦/٥/١٩٩٨م، بحث للدكتور حسين علوان حسين بعنوان العولمة والثقافة العربية منشورات جامعة فلاديفيا بالأردن، عمان، ط ١، ١٩٩٩م.
- ٥١ - العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٥٢ - غزو في الصميم، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- ٥٣ - في الثقافة الإسلامية أحمد نوفل وآخرون، عمان، دار عمار للنشر، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- ٥٤ - فيض التقدير شرح الجامع الصغير، الإمام عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة بيروت، ط ٢، ١٣٩١.
- ٥٥ - القرآن الكريم.

- ٥٦ - القضاء والقدر في الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبد الرحمن المحمود، دار النشر الدولي، الرياض ط ١، ١٤١٤ هـ.
- ٥٧ - القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب على المؤسسات الإسلامية، د. محمد بن عبد الله السلومي، صادر عن مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- ٥٨ - القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ محمد العثيمين، ابن الجوزي، ط ٢.
- ٥٩ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٥ هـ.
- ٦٠ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٣٠٠.
- ٦١ - لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر بن عودة الخطيب، بيروت، مؤسسة الرسالة ط ٣، ١٣٩٩ هـ.
- ٦٢ - مجلة المعرفة، العدد ١٠١، الرياض، وزارة التربية والتعليم، شعبان ١٤٢٤ هـ - موضوع قيم الإسلام، الحوار الانفتاح على العالم.
- ٦٣ - مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع ابن قاسم، الرياض، ط ١.
- ٦٤ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، مصر نهضة مصر، ١٩٩٩.
- ٦٥ - مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقيه، مصر، مكتبة السنة، ط ١، د. ت.
- ٦٦ - مدخل إسلامي لحوار الحضارات، لمحمد السعيد عبد المؤمن، بحث مقدم لندوة الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤٢٣ هـ غير مطبوع.
- ٦٧ - مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. سعود بن سلمان آل سعود، ود. نعيان السامرائي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٩ هـ.

- ٦٨ - المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٩٩٨ م.
- ٦٩ - مدخل لمعرفة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- ٧٠ - مدونة السنن الكونية الألكترونية، دراسة السنن الإلهية وأثرها، أبو مريم محمد الجريتي، ١٤٣٣ هـ.
- ٧١ - المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، د. أحمد صبحي العبادي، العين، دار الكتاب الجامعي، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- ٧٢ - مسئولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية، د. ساعد العرابي الحارثي، من منشورات المجلة العربية، (د. ط. ت.).
- ٧٣ - المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٠ م.
- ٧٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار المعارف المصرية، ١٩٨٠ م.
- ٧٥ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، طبع ونشر المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة.
- ٧٦ - المعجم الوسيط، الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، طبعة ١٩٧٣ م.
- ٧٧ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٠٢ هـ.
- ٧٨ - المغني لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الله التركي، المدينة المنورة، دار هجر ط ١، ١٤٠٩ هـ.
- ٧٩ - مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، د. خالد بن عبد الله القاسم الرياض

- دار الصميعي الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- ٨٠ - المفردات للراغب الأصفهاني تحقيق صفوان داوود، دمشق، دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ.
- ٨١ - مقدمات في الثقافة الإسلامية د. مفرح بن سليمان القوصي الرياض، دار الغيث، ط ٢، ١٤١٨هـ.
- ٨٢ - منهاج السنة النبوية شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ٨٣ - منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد د. عثمان حسن، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٨٤ - منهج التلقي والاستدلال، أحمد الصويان، السعودية، الرياض، دار الحكمة، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- ٨٥ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة، د. مانع بن حماد الجهني، الرياض، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط ٣، ١٤١٨هـ.
- ٨٦ - موسوعة ويكيبيديا في الشبكة العنكبوتية ١٤٣٣هـ.
- ٨٧ - الموطأ، للإمام مالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٨٨ - موقع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز في الشبكة العنكبوتية ١٤٣٣هـ.
- ٨٩ - موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ٩٠ - موقف الإسلام من الحضارات الأخرى، د. محمد نور د. شان، بحث مقدم إلى ندوة الإسلام وحوار الحضارات، غير منشورة، مكتبة الملك عبد العزيز،

- الرياض، السعودية، محرم، ١٤٢٣هـ.
- ٩١ - نحو ثقافة إسلامية، أصيلة، عمر سليمان أشقر، دار النفائس، عمان - الأردن، الطبعتان: ط. ٦، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ط. ١٣، ١٤٢٤هـ.
- ٩٢ - النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين محمد بن الجزري ابن الأثير، ٤٠٩/٢، تحقيق طاهر الزاوي، محمود الطناحي، بيروت المكتبة العلمية
- ٩٣ - نواقض الإيمان الاعتقادية، د. محمد بن عبد الله الوهيبي، رسالة علمية.
- ٩٤ - نواقض الإيمان القولية والعملية د. عبد العزيز العبد اللطيف، الرياض، دار الوطن، ط. ٢، ١٤١٥هـ.
- ٩٥ - الوجيز في الثقافة الإسلامية، د. همام سعيد وآخرون، عمان، دار الفكر، ط. ١، ١٤٢٢هـ.

* * *



الفهرس العام

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٥
أولاً: الثقافة الإسلامية.....	٧
مفهوم الثقافة الإسلامية.....	٩
أهمية الثقافة الإسلامية.....	١٣
مصادر الثقافة الإسلامية.....	١٦
التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية.....	٢١
موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى.....	٣٦
الحوار بين الحضارات.....	٣٨
ثانياً: الخصائص العامة للإسلام.....	٤٩
مدخل وفيه:.....	٥١
المراد بالخصائص.....	٥١
تعريف الإسلام.....	٥١
المناهج الموجودة على وجه الأرض.....	٥٢
الخصائص العامة:.....	٥٦
~ الخصيصة الأولى: دين إلهي.....	٥٧
~ الخصيصة الثانية: دين شامل.....	٦٠
~ الخصيصة الثالثة: دين الفطرة.....	٦٣
~ الخصيصة الرابعة: الوسطية.....	٦٥

~	الخصيصة الخامسة: دين العلم	٦٨
~	الخصيصة السادسة: دين الأخلاق	٧٤
	ثالثاً: العقيدة الإسلامية	٧٩
	تعريف العقيدة الإسلامية وبيان أهميتها	٨١
	منهج تلقي العقيدة الإسلامية والاستدلال عليها	٨٥
	أركان الإيمان	٩٠
~	الركن الأول: الإيمان بالله تعالى	٩٢
~	الركن الثاني: الإيمان بالملائكة	١٠٦
~	الركن الثالث: الإيمان بالكتب	١١٤
~	الركن الرابع: الإيمان بالرسل	١١٨
~	الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر	١٢٤
~	الركن السادس: الإيمان بالقدر	١٣١
	نواقض الإيمان	١٣٨
	أولاً: نواقض الإيمان الاعتقادية	١٣٩
	ثانياً: نواقض الإيمان القولية	١٤٢
	ثالثاً: نواقض الإيمان العملية	١٤٤
	فهرس المصادر والمراجع	١٤٧
	الفهرس العام	١٥٧
	الفهرس التفصيلي	١٥٩

الفهرس النفصلي

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
أولاً : الثقافة الإسلامية	
مفهوم الثقافة الإسلامية	٩
أ - تعريف الثقافة في اللغة	٩
ب - تعريف الثقافة في الاصطلاح	١٠
ج - العلاقة بين الثقافة والعلم	١٠
أولاً: العلاقة بين الثقافة والعلم	١٠
ثانياً: العلاقة بين الثقافة والحضارة	١١
د - تعريف الثقافة الإسلامية اصطلاحاً	١١
أهمية الثقافة الإسلامية	١٣
مصادر الثقافة الإسلامية	١٦
أولاً: المصادر الشرعية الأصلية	١٦
المصدر الأول: القرآن الكريم	١٦
المصدر الثاني: السنة النبوية	١٨
أنواع السنة (السنة القولية، السنة العملية، السنة التقريرية)	١٨
مكانة السنة مع القرآن	١٩

التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية.....	٢١
أولاً: الغزو العسكري	٢١
ثانياً: الغزو الفكري.....	٢٤
آثار التحديثات التي تواجه الثقافة الإسلامية	٢٩
سبل مواجهة التحديات الثقافية	٣٢
موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى.....	٣٦
(الاتجاه السلبي، الاتجاه التغريبي، الاتجاه التوفيقي، الاتجاه المعتدل)	٣٦..
الحوار بين الحضارات	٣٨
أولاً: الإسلام دين الحوار	٣٨
ثانياً: أهم أهداف الحوار في الإسلام	٣٩
ثالثاً: آداب الحوار.....	٤٠
رابعاً: السنن الإلهية المتعلقة بالحضارات	٤٤

ثانياً: الخصائص العامة للإسلام

المراد بالخصائص.....	٥١
تعريف الإسلام	٥١
المناهج الموجودة على وجه الأرض	٥٢
منهج ديني محرّف	٥٢
منهج ديني بشري	٥٢
منهج مدني بشري خالص	٥٣
الخصيصة الأولى: دين إلهي	٥٧

٦٠.....	الخصيصة الثانية: دين شامل
٦٣.....	الخصيصة الثالثة: دين الفطرة
٦٥.....	الخصيصة الرابعة: الوسطية
٦٨.....	الخصيصة الخامسة: دين العلم
٧٤.....	الخصيصة السادسة: دين الأخلاق

ثالثاً: العقيدة الإسلامية

٨١.....	تعريف العقيدة الإسلامية وبيان أهميتها
٨١.....	العقيدة في اللغة
٨١.....	العقيدة في الاصطلاح
٨١.....	أولاً: التعريف العام الاصطلاحي
٨١.....	ثانياً: تعريف العقيدة الإسلامية
٨٢.....	أهمية العقيدة الإسلامية
٨٥.....	منهج تلقي العقيدة الإسلامية والاستدلال عليها
٨٥.....	أولاً: منهج تلقي العقيدة الإسلامية عند السلف
٨٥.....	١ - الاقتصار في منهج التلقي على الوحي
٨٦.....	٢ - التسليم لما جاء به الوحي مع إعطاء العقل دوره الحقيقي
٨٦.....	٣ - ترك الابتداع
٨٧.....	ثانياً: منهج السلف في الاستدلال على العقيدة
٨٧.....	١ - حجية السنة
٨٧.....	٢ - ترك التأويل المذموم لنصوص الكتاب والسنة

- ٣- عدم التفريق بين الكتاب والسنة ٨٧
- ٤- صحة فهم النصوص (الاعتماد على فهم الصحابة، معرفة اللغة العربية، جمع النصوص الواردة في المسألة الواحدة، معرفة مقاصد التشريع الإسلامي) ٨٨
- أركان الإيمان ٩٠
- الركن في اللغة ٩٠
- الإيمان لغةً ٩٠
- الإيمان اصطلاحاً ٩٠
- الأدلة على الإيمان بالأركان من القرآن الكريم والسنة ٩١
- الركن الأول: الإيمان بالله تعالى ٩٢
- الأمر الأول: الإيمان بوجود الله تعالى ٩٣
- الأمر الثاني: الإيمان بربوبيته ٩٥
- الأمر الثالث: الإيمان بألوهيته ٩٦
- معنى شهادة أن لا إله إلا الله ٩٨
- فضل شهادة أن لا إله إلا الله ٩٩
- شروط شهادة أن لا إله إلا الله ١٠٠
- الأمر الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته ١٠٣
- ثمار الإيمان بالله تعالى ١٠٥
- الركن الثاني: الإيمان بالملائكة ١٠٦
- تعريف الملائكة في اللغة والاصطلاح ١٠٦

- الأول: الإيمان بوجودهم حقيقة ١٠٧
- الثاني: الإيمان بما سمي منهم باسمه ١٠٧
- الثالث: الإيمان بما أخبر الله ورسوله ﷺ من صفاتهم الخلقية والخلقية ١٠٧
- الرابع: الإيمان بما أخبر الله ورسوله ﷺ من أعمالهم التي وكلوا بها ١٠٩
- ثمار الإيمان بالملائكة ١١٣
- الركن الثالث: الإيمان بالكتب ١١٤
- تعريف الكتب ١١٤
- الأول: الإيمان بها إجمالاً ١١٤
- الثاني: الإيمان بما سمي لنا منها على وجه الخصوص ١١٤
- الثالث: الإيمان بما في هذه الكتب إجمالاً ١١٥
- الرابع: الإيمان بهذا القرآن المنزل على خاتم النبيين ١١٥
- الغاية من إنزال الكتب ١١٦
- مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكتب السماوية ١١٦
- ثمار الإيمان بالكتب المنزلة ١١٧
- الركن الرابع: الإيمان بالرسل ١١٨
- تعريف النبي والرسول والفرق بينهما ١١٨
- حكمة إرسال الرسل ١١٨
- الأول: الإيمان بجميع الرسل إجمالاً ١١٩
- الثاني: الإيمان بما علمنا منهم تفصيلاً ١٢٠
- الثالث: الإيمان إجمالاً وتفصيلاً بما جاء به نبينا محمد ﷺ ١٢١

- الرابع: الإيمان بمعجزات الرسل وبيّناتهم..... ١٢١
- دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ..... ١٢٢
- ثمار الإيمان برسل الله..... ١٢٣
- الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر..... ١٢٤
- تعريف اليوم الآخر..... ١٢٤
- الأول: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت..... ١٢٤
- الثاني: الإيمان بالبعث..... ١٢٥
- الثالث: الإيمان بالحساب والجزاء..... ١٢٦
- الرابع: الإيمان بالجنة والنار..... ١٢٨
- ثمار الإيمان باليوم الآخر..... ١٢٩
- الركن السادس: الإيمان بالقدر..... ١٣١
- تعريف القدر لغة وشرعاً..... ١٣١
- الأول: الإيمان بعلم الله القديم..... ١٣٢
- الثاني: الإيمان بالكتاب الأول..... ١٣٢
- الثالث: الإيمان بعموم المشيئة..... ١٣٢
- الرابع: الإيمان بالخلق..... ١٣٣
- حكم الاحتجاج بالقدر على ترك الواجبات أو فعل المعاصي..... ١٣٤
- ثمار الإيمان بالقدر..... ١٣٧
- نواقض الإيمان..... ١٣٨
- معنى النواقض في اللغة والاصطلاح..... ١٣٨

- أولاً: نواقض الإيمان الاعتقادية..... ١٣٩
- ١ - الشرك بالله تعالى..... ١٣٩
 - ٢ - الجحود والتكذيب بشيء من الفرائض والواجبات..... ١٣٩
 - ٣ - استحلال أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه..... ١٤٠
 - ٤ - الشك في حكم من أحكام الله عز وجل أو في خبر من أخباره..... ١٤٠
 - ٥ - من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم..... ١٤٠
 - ٦ - اعتقاد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ..... ١٤٠
 - ٧ - الإعراض عن دين الله..... ١٤١
 - ٨ - النفاق الاعتقادي..... ١٤١
 - ٩ - الإباء والاستكبار..... ١٤٢
- ثانياً: نواقض الإيمان القولية..... ١٤٢
- ١ - سب الله تعالى أو رسله أو كتبه..... ١٤٢
 - ٢ - الاستهزاء بالله، أو دينه، أو رسله..... ١٤٢
 - ٣ - إنكار معلوم من الدين بالضرورة..... ١٤٢
 - ٤ - ادعاء النبوة..... ١٤٣
 - ٥ - ادعاء علم الغيب..... ١٤٣
- ثالثاً: نواقض الإيمان العملية..... ١٤٤
- ١ - الشرك في عبادة الله عز وجل..... ١٤٤
 - ٢ - السحر..... ١٤٤
 - ٣ - الاستهانة بالمصحف..... ١٤٤

- ٤ - مظاهر المشركين ومعاونتهم على المسلمين..... ١٤٤
- حكم تكفير المعين..... ١٤٥

* * *